

ذكريات أشهر الحج

(شوال ، ذى القعدة ، ذى الحجة)

ايوب الحائري

مراجعة: الشيخ اليوسفي الغروي

الفهرس الإجمالى

تقديم :

مقدمة المؤلف

الفصل الاول: ذكريات شهر شوال

عيد الفطر المبارك

معركة الخندق (الأحزاب)

بداية الغيبة الكبرى للمهدى عليه السلام

غزوة حنين

معركة أحد وشهادة حمزة عليه السلام

هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام

غزوة وسرية بنى سليم

ردّ الشمس للإمام علي عليه السلام

وفاة السيد عبد العظيم الحسنى عليه السلام

غزوة بنى قينقاع (يهود المدينة)

فتح الأندلس علي يد المسلمين

شهادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

وفاة إبراهيم ابن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

جدول مناسبات شهر شوال

الفصل الثاني : ذكريّات شهر ذى القعدة

تمهيد : ذى القعدة، أعمال ومناسبات

تجديد بناء الكعبة المشرفة

ولادة السيدة المعصومة عليها السلام

النبي صلّى الله عليه وآله و صلح الحديبية

ولادة الإمام الرضا عليه السلام

غزوة بنى قريظة

يوم دحو الأرض

خروج النبي صلّى الله عليه وآله من المدينة للحج

شهادة الإمام محمد الجواد عليه السلام

جدول مناسبات شهر ذى القعدة

الفصل الثالث : ذكريّات شهر ذى الحجة

تمهيد : ذى الحجة، أعمال ومناسبات

زواج الإمام على عليه السلام من الزهراء عليها السلام

تبليغ سورة براءة فى الحج

وصول النبي صلّى الله عليه وآله إلى مكة لحجة الوداع

شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام

يوم التروية وخروج الحسين عليه السلام من مكة

يوم عرفة

شهادة مسلم بن عقيل وهانى

عيد الأضحى المبارك

يوم الغدير (على عليه السلام وصى النبي صلى الله عليه وآله)

شهادة ميثم التمار رضي الله عنه

يوم المباهلة مع نصاري نجران

يوم تصدق الإمام على عليه السلام بالخاتم

نزول سورة الإنسان فى أهل البيت عليهم السلام.

البيعة لعلى عليه السلام بالخلافة

واقعة الحرة فى المدينة

يوم الختام للسنة الهجرية

جدول مناسبات شهر ذى الحجة

.....
اهمّ مصادر الكتاب

الفهرس التفصيلي

﴿ .. وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ .. ﴾^(١)

مقدمة المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

لقد اهتم الإنسان أشد الاهتمام بالزمان والتاريخ كعامل مهم في حياته الفردية و الإجتماعية، وأخذت كل أمة تسعى لكي تحفظ تراثها من خلال تسجيل زمن حدوث الوقائع ومكانها بحسب المبدأ التاريخي الذي تختاره .

و في الإسلام تزداد مكانة بعض الأيام والتواريخ ، بحسب الأحداث التي وقعت فيها، أو التي ستقع فيها، وهذا ما نلمسه من واقع حياتنا كمسلمين، إذ وردت أحاديث كثيرة في فضل بعض الأيام بالخصوص، فليلة القدر، في القرآن، خير من ألف شهر، ويوم الجمعة لها خصوصية معينة، وحدث هجرة الرسول ﷺ له مكانة عالية إذ جعل مبدأ للتاريخ في الإسلام، فسميت السنة بالهجرية نسبة إلى هذه الحادثة العظيمة وليست هذه منحصرة بالإسلام، فقد اعتمد المسيحيون يوم ميلاد السيد المسيح ﷺ مبدءاً لتقاويمهم تخليداً لذلك الحدث المهم وهكذا سائر الامم والاديان.

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المجال، هو التركيز على الاستفادة المثلى من هذه المناسبات لما فيه خير الإسلام والمسلمين، ولا يتم ذلك إلا من خلال نشر الوعي والثقافة الإسلامية الصحيحة، والسعي لتمثل تلك التجارب الإسلامية الناجحة في واقعنا المعاصر، ولاسيما فيما يتعلق بذكرات الشخصيات الإسلامية الخالدة، من خلال جعلهم قدوات في حياتنا العملية، وتذكير الأمة بالقدرات العلمية والثقافية والنماذج الصالحة التي زخرت بها في كل العصور إلى يومنا هذا و ان ذلك مصداقا لتذكير المسلمين بايام الله وتعظيمها لشعائره.

إنّ عرض المناسبات الاسلامية السنوية بهذا الشكل بهدف واضح ومركّز وهو تكوين ثقافة واعية وهادفة منبعثة من المبادئ والعقائد التي سنّها إسلامنا العزيز، ومواكبة لمسيرة مجتمع قام ببناء حضارة مميّزة فاقت الحضارة المادية منطلقاً من إيمانه الراسخ بثوابت وقيم وثقافة تشكل التراث الاسلامي الغني لطالما عمل على إحيائه والحفاظ عليه علماء هذه الأمة ومفكروها، وجاء الدور الينا اليوم لكي نحياه ونحافظ عليه.

ومن هذا المنطلق وحيث ان المخاطب الاول في هذا المقال هم حجاج بيت الله الحرام جاء هذا الكتاب الموجز، لتعريف الأمة الإسلامية بقسم من تاريخها المجيد من خلال عرض أهم المناسبات التي مرت بها، في أشهر الحج (شوال، ذي القعدة ، ذي الحجة) .

و على ضوء هذا الهدف المقدس المنشود واحساسا بالمسؤولية والتكليف للمشاركة في احياء التراث الاسلامي المتمثل بتاريخه الحافل بالقيم والمبادئ . وتلبية لنداء العلماء ، لاسيما الامام الخميني الراحل (قد سره) في نشر الاسلام المحمدي الاصيل ، قمت بتدوين مناسبات هذه الأشهر الثلاث بثوب جديد فكان هذا الإنجازو العمل الرسالي الذي تمّ يوم النصف من شهر شعبان يوم ميلاد حفيد رسول الله ﷺ الإمام المصلح العالمي المنتظر والمهدي الموعود ﷺ، اقدمه إلى عامّة المسلمين لاسيما ضيوف الرحمن ،حجاج بيت الله الحرام سائلاً المولي العزيز حسن القبول واستمرار التوفيق لمواصلة الطريق .

وأخيراً ارجوا أن ينتفع بهذا السفر المختصر إخوتي في الإيمان والاسلام، وأن أنتفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وما توفيقى إلا بالله العلي العظيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين ﷺ وصحبه الأخيار المتتجيبين .

النصف من شهر شعبان / ١٤٣١ هـ.ق ذكرى ميلاد الإمام المصلح العالمي المنتظر ﷺ

قم المقدسة -ايوب الحائري

الفصل الاول

ذكريّات شهر شوال

تمهيد

شوّال اعمال ومناسبات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على شمس الهداية نبينا محمد ﷺ وعلى الأعمار
المضيئة وأعلام الهداية، الأئمة الطاهرين ﷺ.

شهر شوّال المكرّم يبدأ بفرح وسرور فالليلة الأولى منه هي ليلة العيد وهي من الليالي الشريفة
التي يستحب إحيائها بالصلاة والدعاء والإستغفار وزيارة الإمام الحسين ﷺ والبيتوته في المسجد
، ويوم الأول منه هو اليوم الذي جعله الله للمسلمين عيداً ولمحمدٍ ذخراً وشرفاً وكرامةً ومزيداً، ومن
اهمّ أعمال هذا اليوم قراءة بعض الأدعية الواردة وزيارة الإمام الحسين ﷺ وإخراج زكاة الفطر
وصلاة العيد. (١)

ويطلّ علينا شهر شوال المكرّم بعيد الفطر المبارك وهو يوم فرح وسرور المسلمين، وفي
الحقيقة إنّ الفرح والسرور هوللتوفيق في العبادة، وقبول الاعمال وغفران الذنوب.

ومن هذا المنطلق يعطي أمير المؤمنين ﷺ بعداً عميقاً للعيد، فيعتبر أنّ الفرحة والسرور ليست
لجميع الناس بل لمن قبل الله صيامه وليست منحصرة بالعيد وهلال شوّال فقط، بل يمكن أن
يحصل ذلك في كل يوم لا يعصى الله فيه ولذا يقول في إحدى خطبته يوم العيد: «... إنّما هو عيد
لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد» (٢).

وفي هذا الشهر جرت وقائع وأحداث مهمة؛ منها معركة الخندق وأحد حيث كان لأmir
المؤمنين ﷺ الدور الريادي فيهما. وغزوات كحنين، وبني سليم، وبني قينقاع، إضافةً إلى وقائع
كالغيبية الكبرى، وهدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام، وحادثة رد الشمس كرامة لعلي عليه السلام، وشهادة الإمام
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ووفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ.

مناسبات اجتمعت في هذا الشهر لتكون معالمًا وتراثاً إسلامياً لا بدّ من إحيائها في القلوب
والضمائر لناخذ منها دروساً وعبراً، ولتبقى مشعلاً وقادراً لكل الأجيال عبر العصور فهلمّ معاً لمعرفة
باختصار:

(١) لمزيد من معرفة أعمال هذا الشهر راجع كتاب مفاتيح الجنان، أعمال شهر شوّال.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٧٣، وسائل الشيعة ١٤: ٤٦٠ باب ٤٩.

(١)

عيد الفطر المبارك^١

(أول شهر شوال من كل سنة)

﴿...اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ...﴾^(٢).

العيد في اللغة، مأخوذ من عاد بمعنى العود أي عاد إليه، أو مأخوذ من العادة بمعنى اعتاده، وهو كل يوم يحتفل فيه بذكرى كريمة أو حبيبة^(٣).

وفي الاصطلاح الإسلامي: هو الذكرى التي يجتمع المسلمون فيها ويبرزون الفرح إلى الله تعالى فيحمدونه على ما منّ عليهم من الرحمة فيه والمغفرة، وما اتاهم من فضله .

إذن علينا جميعاً السعي لفهم المعنى الحقيقي للعيد، وما هي الواجبات الملقاة علينا تجاهه؟ وما هي أعياد الدين الإسلامي وفلسفتها؟ وقبل ذلك كله ينبغي أن نتعرف على مشروعية الأعياد في الإسلام.

العيد حكم تشريعي خاص

ظاهر قول الفقهاء العظام أن الأعياد في التشريع الإسلامي توقيفي، بمعنى لا يحق لأحد أن يؤسس للمسلمين عيداً، وينسبه إلى الإسلام إلا أن يأذن به الشارع المقدس، مهما كان ذلك اليوم عظيماً عند الناس، نعم لو اعتبر عيداً باسم الوطن، أو المجتمع كيوم الانتصار، أو يوم أعد تكريماً لعظيم كالألم أو العالم الفلاني، أو ما شاكل ذلك، فلا يضر، ولكن لا يمكننا نسبته للإسلام والمسلمين، بأن ينسب إلى الإسلام، ويعتبر من ضمن طقوسه، وممارساته، واختياراته. وهذه المسألة على مقدار من الأهمية ينبغي أن يلتفت إليها المجتمع المسلم، إذ كثيراً ما نجد تأثير هذه

^١ (نقلًا عن كتاب أفضل الليالي .

(٢) المائدة: ١١٤

(٣) المعجم الوسيط: ٦٣٥، لسان العرب: مادة عيد.

الأعياد التي لم ينص عليها الإسلام إلى درجة، قد يتغافل عن مناسبة إسلامية تتعارض مع ذلك اليوم، لشدة شيوع عيد ذلك اليوم في مجتمع ما، فكم رأينا بعض المسلمين في مجتمع ما يحتفلون بيوم على أنه يوم مبارك كيوم عاشوراء من شهر محرم الحرام، في حين يصادف ذلك اليوم ذكرى محزنة في الإسلام، وينبغي للمؤمن المسلم إظهار الحزن فيه لا الفرح والسرور، حيث قتل فيه ابن بنت رسول الله ﷺ وحفيده الامام الحسين بن علي بن ابي طالب وجمع من أهل بيته واصحابه علي يد الطاغية يزيد بن معاوية.

الأعياد الإسلامية

يستفاد من النصوص الإسلامية، أن أهم أعياد المسلمين أربعة، عيد الفطر المبارك، وهو اليوم الأول من شوال، وهو عيد الإفطار، وحلّية الطعام والشراب في النهار، بعدما كان محظوراً في أيام شهر رمضان وعيد الأضحى، وهو اليوم العاشر من ذي الحجة بعد ما يقضي الحاج من المزدلفة إلى منى، وينحر ذبيحته ليخرج من إحرامه، ويوم الجمعة في كل أسبوع، وعيد الغدير، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يوم تنصيب أمير المؤمنين ﷺ إماماً للمسلمين، وهناك بعض المناسبات الإسلامية كمولد الرسول ﷺ ومبعثه وغيرها من المناسبات يستفاد من بعض الروايات أنّها من أعياد المسلمين.

وقد وردت الروايات الكثيرة في إثبات هذه الأعياد، أما الفطر والأضحى فهما محل إجماع واتفاق بين المسلمين جميعاً، وأما الجمعة، فقد ورد عن أبي جعفر الباقر ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أن جبرئيل أتاني بمرأة في وسطها كالنكتة السوداء، فقلت له: يا جبرئيل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة، قال: قلت، وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير كثير، قال: قلت، وما الخير الكثير؟ فقال: تكون لك عيداً ولأمتك من بعدك إلي يوم القيامة، قال ﷺ: قلت وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله مسألة فيها وهي له قسم في الدنيا إلا أعطاه، وإن لم يكن له قسم في الدنيا ذخرت له في الآخرة أفضل منها، وإن تعود بالله من شر ما هو عليه مكتوب صرف الله عنه ما هو أعظم منه»^(١).

وأما مشروعية عيد الغدير، فقد وردت جملة من النصوص ما يدل عليه، نذكر منها رواية واحدة فقط، فقد «سئل أبو عبد الله الصادق ﷺ: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟

(١) مستدرک الوسائل ٦: ٥٨ باب ٣٢، باب وجوب تعظيم يوم الجمعة .

قال ﷺ: نعم أعظمها حرمة، قلت: وأي عيد هو جعلت فداك؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ﷺ، وقال: «من كنت مولاه فعلى مولاه» قلت: وأي يوم هو؟ قال ﷺ: وما تصنع باليوم إن السنة تدور ولكنه يوم ثامن عشر من ذي الحجة، فقلت: وما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم؟

قال ﷺ: «تذكرون الله عز وجل فيه بالصيام والعبادة والذكر لمحمد وآل محمد، فإن رسول الله ﷺ أوصي أمير المؤمنين ﷺ أن يتخذ ذلك اليوم عيداً، وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام تفعل، كانوا يوصون أوصيائهم بذلك فيتخذونه عيداً»^(١).

فلسفة الأعياد الإسلامية:

بعدما عرفنا أن أعياد المسلمين أربعة: الفطر والأضحى والجمعة والغدير، ينبغي لنا أن نتعرف على معنى العيد في هذه الأيام، حيث أن العيد في الإسلام يحمل عناوين متعددة في حالات معينة، وهي كالاتي:

١- الفرح بالقبول والغفران:

لا شك في أن جميع الأعياد الأربعة لا بد وأن تعبر عن فرح وسرور لكل فرد مسلم، ولكن ليس المراد بفرحة العيد لذات العيد، بل ما يحمله العيد من معان ومفاهيم عظيمة في الإسلام، فعيد الفطر يعني أن يفرح الإنسان الصائم القائم برضا الله عنه وقبوله لأعماله، لأن ذلك إن تحقق فيحقق للمؤمن فرحة ليس بعدها ولا قبلها فرحة، فهو ينعم برضوان الله عليه، إن لم يضيع له ما قدمه في ذلك الشهر من الصيام والقيام والدعاء والمناجاة والصلاة، فعن علي ﷺ أنه قال في بعض الأعياد: «إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه، وشكر قيامه»^(٢)، فالفرح بغفران الله تعالى هو عيد الصائم القائم، وليس الفرح بالزينة والثياب وحلّ الطعام والشراب، يروى أن سويد بن غفلة دخل على أمير المؤمنين ﷺ في يوم عيد فإذا عنده خوان عليه خبز السمراء - أي الحنطة - وصحيفة فيها خطيفة وملبنة، فقال له: يا أمير المؤمنين يوم عيد وخطيفة؟! فقال ﷺ: «هذا عيد من غفر له»^(٣)، لقد كان يظن سويد أنه لا تناسب بين الخطيفة، وهي اللبن الذي يطبخ ويختطف بالملاعق بسرعة، وبين العيد، حيث إن

(١) الكافي ٤: ١٤٨، باب صيام الترغيب.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٧٣، وسائل الشيعة ١٤: ٤٦٠، باب ٤٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٠: ٣٢٦ ح ٧.

معنى العيد كما يفهمه الناس توفير الطعام الجيد والثياب الفاخرة الجديدة، فأفصح الإمام عليه السلام عن مكنون العيد وحقيقته، وأنه عيد المغفرة والقبول، لا عيد اللبس والطعام والشراب، وكما أن هذا المعنى قد سجلته النصوص في عيد الفطر، كذلك في عيد الأضحى، فهو عيد غفران ذنوب الحاج، وقبول حجه وسعيه، وقبول الرضا عليه.

فاللعب واللهو والانشغال في اللذائذ؛ يفقد العيد قدسيته وعظمته ووقاره، ولهذا يروى أنه «مرّ الإمام الحسن عليه السلام في يوم فطر يقوم يلعبون ويضحكون، فوقف على رؤوسهم، فقال عليه السلام: إن الله جعل شهر رمضان مضمراً لخلقه، فيستبقون فيه بطاعته إلي مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وقصر آخرون فخابوا، فالعجب كل العجب من ضاحكٍ لاعبٍ في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، وأيم الله لو كشف الغطاء لعلموا أنّ المحسن مشغول بإحسانه، والمسيئ مشغول بإساءته»، ثم مضى^(١).

وأما عيد الغدير فهو عيد البيعة، عيد إكمال الدين وإتمام النعمة، وقبول الإسلام ديناً خالداً، كما ورد ذلك بقوله تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً...﴾^(٢).

٢- العيد هو العودة إلى الله تعالى:

ومن المعاني العميقة التي يحملها العيد أنه يعبر عن تحقق العودة إلى الله تبارك وتعالى، وقد ذكرنا سابقاً أن أهل اللغة يقولون بأن معنى العيد من عاد ويعود، وهو ما يتناسب مع العودة إلى الله تعالى والرجوع إليه ذلك أن العابد إنما يقوم بطقوسه العبادية من الصيام والصلاة والدعاء والمناجاة لكي يعود إلى ربه ويرجع إليه بعد أن كان هارباً منه تاركاً لمرضيه، عازفاً عن الطاعة، ففي شهر رمضان يبدأ العبد بتطهير نفسه وقلبه وعقله حتى يرفع تمام الحجب المظلمة التي صنعها لنفسه مع ربه، وبالعيد يتحقق العود إلى الله والرجوع إليه، وكذا الحاج، فإنه وبما يقوم به من فروض الطاعة من الإحرام والطواف والسعي والوقوف في عرفات والمزدلفة... يرجع ويعود إلى ربه تبارك وتعالى، ليعود الله عليه بالرحمة والمغفرة، فقد ورد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خطب في يوم الفطر فقال: «أيها الناس، إنّ يومكم هذا يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون، وهو

(١) تحف العقول: ٢٣٦.

(٢) المائدة: ٣.

أشبهه بيوم قيامكم، فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلي مصلاكم خروجكم من الأجداث إلي ربكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاكم وقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا برجوعكم إلي منازلكم رجوعكم إلي منازلكم في الجنة.

عباد الله إن أدني ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان: أبشروا عباد الله فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون؟!^(١)

وعلى العموم فإن العيد في الإسلام يعتبر شعاراً من شعائر الله تعالى، فالفرح والسرور للتوفيق في العبادة، ولغفران الله تعالى الذنوب، ومن هذا المنطلق يعطي أمير المؤمنين بعداً عميقاً للعيد، فيعتبر أن الفرحة والسرور ليست منحصرة بالأعياد الأربعة، بل يمكن أن يحصل ذلك في كل يوم لا يعصى الله فيه، قال الإمام علي عليه السلام: «... وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو عيد»^(٢).

(١) وسائل الشيعة ٧: ٤٨٦، باب ٣٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٧٣، وسائل الشيعة ١٤: ٤٦٠، باب ٤٩ .

(٢)

معركة الخندق (الأحزاب)

(٣/ شوال / السنة ٥ هـ)

وقعت حادثة غزوة الخندق (أو الأحزاب) في السنة الخامسة للهجرة النبوية المباركة. يقول الشيخ المفيد في (الإرشاد): إن جماعة من اليهود خرجوا من المدينة حتى قدموا مكة إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته لرسول الله ﷺ وتسرعته إلى قتاله. فذكروا له ما نالهم (من وقعة بني النضير) وسألوه المعونة على قتاله. وأضاف قائلاً: فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكّنكم الله من عدوكم فهذه اليهود تقاتله معكم ولا تنفك عنكم حتى يؤتى على جميعها أو تستأصله ومن اتبعه، فقويت عزائمهم إذ ذاك في حرب النبي ﷺ. ثم خرج اليهود من مكة إلى غطفان وقيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وضمنوا لهم النصر والمعونة، وأخبروهم باجتماع قريش لهم على ذلك^(١).

خروج الأحزاب للحرب:

وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مرة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع، واجتمعت قريش معهم^(٢)، وذكرهم ابن شهر آشوب فقال: فكانوا ثمانية عشر ألف رجل، والمسلمون في ثلاثة آلاف^(٣)، وقال المسعودي: فكان عدّة الجميع: أربعة وعشرين ألفاً، والمسلمون نحو من ثلاثة آلاف^(٤).

(١) الإرشاد ١: ٩٥، إعلام الوری ١: ١٩٠، مجمع البيان ٨: ٥٣٣.

(٢) الإرشاد ١: ٩٥، إعلام الوری ١: ١٩٠.

(٣) المناقب ١: ١٩٧.

(٤) التنبيه والإشراف: ٢١٦.

مشاورة الأصحاب:

قال القمي: وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فاستشار أصحابه، وكانوا سبعمئة رجل.

فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المجالدة).

فقال له رسول الله: فما نصنع؟

قال سلمان: نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه. فإننا كنا - معاشر العجم في بلاد فارس - إذا دهمنا دهم من عدوتنا نحفر الخندق، فيكون الحرب من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: أشار سلمان بصواب^(١).

ووكّل رسول الله ﷺ بكل جانب من الخندق قوماً يحفرونه، فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذباب، وكانت الأنصار تحفر من ذباب إلى جبل بني عبيد، وكان سائر المدينة مشبكاً بالبنيان^(٢).

وكان سلمان الفارسي قوياً عارفاً بحفر الخندق. وروى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: جعلوا لسلمان خمسة أذرع طولاً وعرضاً، فما مرّ حين حتى فرغ منه وحده، فتنافس الناس فيه، فقال المهاجرون: سلمان منا. وقالت الأنصار: هو منا ونحن أحقّ به. فبلغ رسول الله ﷺ قولهم فقال: «سلمان رجل منا أهل البيت»^(٣).

وصول الأحزاب:

وفرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وقدمت قريش وكنانة وسليم وهلال فنزلوا الزغابة، ووادي العقيق، وفي عددهم قال: فوافوا في عشرة آلاف^(٤)، وهم المعنيون بقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا

(١) تفسير القمي ٢: ١٧٧.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ٤٥١.

(٣) سيرة ابن هشام ٣: ٢٣٥.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٧٦.

عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ يعني يوم الأحزاب وهو يوم الخندق ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ وهم عيينة بن حصن في أهل نجد ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ...﴾ ﴿٢﴾ وهم أبو سفيان في قريش، وواجهتهم قريظة ﴿٣﴾.

قال الطبرسي: وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الحصون ﴿٤﴾.

نقض بني قريظة:

وكان بنو قريظة في حصنهم قد تمسكوا بعهد رسول الله ﷺ لهم، فلما أقبلت قريش ونزلت العقيق جاء حبي بن أخطب في جوف الليل إلى حصنهم ودق باب الحصن. فقال حبي بن أخطب لكعب بن أسد: انقض العهد الذي بينك وبين محمد ولا ترد رأيي، فإن محمدًا لا يفلت من هذا الجمع أبدًا، فإن فاتك هذا الوقت فلا تدرك مثله أبدًا. فقبل كعب بن أسد ورجع حبي بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش فأخبرهم بنقض بني قريظة العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ ففرحت قريش بذلك ﴿٥﴾.

مبارزة عمرو للإمام علي عليه السلام:

وجعل المشركون ينظرون إلى الخندق فيتهيئون القدوم ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، فجعلوا يدورون ويدعون المسلمين: ألا هلموا للقتال والمبارزة، وأقاموا على ذلك شهرًا لم يكن بينهم قتال إلا نضح بالنبل ورمي بالحجارة، فلما طال ذلك ندبوا من ينتدب منهم إلى اقتحام الخندق، وكان أشد من فيهم وأنجدهم عمرو بن عبد ود الذي طفر بفرسه الخندق إلى جانب رسول الله ﷺ، وركز رمحه إلى الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول: ولقد بححت من النداء بجمعكم: هل من مبارز

(١) الأحزاب: ٩.

(٢) الأحزاب: ١٠.

(٣) التبيان ٨: ٣٢٠.

(٤) مجمع البيان ٨: ٥٣٥.

(٥) تفسير القمي ٢: ١٧٩، مجمع البيان ٨: ٥٣٥.

ووقفت إذ جن الشجاع مواقف القرن المناجز

إنني كذلك، لم أزل متسرّعا نحو الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله ﷺ: من له؟ فلم يجبه أحد، فقام أمير المؤمنين وقال: أنا له يا رسول الله. فقال:
يا علي هذا عمرو بن عبد ود فارس ليليل. فقال علي ﷺ: وأنا علي بن أبي طالب.

فقال رسول الله ﷺ: أدن مني، فدنا منه، فعممه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال له: اذهب
وقاتل بهذا. ثم دعا له فقال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن
فوقه ومن تحته^(١).

وذكر الكراجكي: أن النبي ﷺ قال ثلاث مرات: أيكم يبرز إلي عمرو وأضمن له علي الله
الجنة؟! وفي كل مرة يقوم علي ﷺ والقوم ناكسوا رؤوسهم. فاستدعاه وعممه بيده، فلما برز قال
علي ﷺ: «برز الإيمان كله إلي الشرك كله».

فمرّ أمير المؤمنين ﷺ يهرول في مشيه، وهو يقول:

لا تعجلنّ، فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيّة وبصيرة، والصدق منجى كل فائز

إنني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقي صوتها بعد الهزاهز^(٢)

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٣.

(٢) مجمع البيان ٨: ٥٣٨.

فقال له عمرو: من أنت؟ قال عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب. فقال عمرو: والله إن أباك كان لي صديقاً قديماً وإني أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حي ولا ميت.

فقال له علي عليه السلام: قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة.

فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي؟ تلك إذاً قسمة ضيزى.

فقال علي عليه السلام: دع هذا يا عمرو، وإني سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول: لا يعرضنّ عليّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلاّ أجبته إليّ واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبنى إليّ واحدة.

قال: هات يا علي. قال عليه السلام: أحدها أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله. قال عمرو: نحّ عنّي هذه فاسأل الثانية. فقال: أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله فإن يك صادقاً فأنتم أعليّ به عيناً وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.

فقال: لا تتحدّث نساء قريش بذلك، ولا تنشد الشعراء في أشعارها، أني جينت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال علي عليه السلام: فالثالثة أن تنزل إليّ، فإنك راكب وأنا راجل، حتى أنا بذك. فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أنّ أحداً من العرب يسومني عليها^(١).

نزل عن فرسه، وضرب وجهه حتى نفر، وأقبل على علي عليه السلام مصلاً سيفه، فتجادلا ساعة، ثم اختلفا بضربتين، فضرب عمرو علياً على أمّ رأسه - وعليه البيضة - فقدّها وأثر السيف في هامته، وضربه علي عليه السلام فوق طوق الدرع فرمى برأسه. وثارَت لذلك عجاجة فما انكشف إلاّ وهم يرون علياً عليه السلام يمسح سيفه على ثياب عمرو وقد خرّ صريعاً.

وفي تفسير القمي: وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون: قتل علي بن أبي طالب. ثم انكشفت العجاجة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلم يضربه.

فوقع المنافقون في علي عليه السلام، فردّ عنه حذيفة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: مه يا حذيفة فإن علياً سيذكر

سبب وقفته^(١).

قال الحلبي: فسأله النبي ﷺ عن سبب وقفته؟ فقال ﷺ: قد كان شتم أُمي، وتفعل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتي سكن ما بي ثم قتلته في الله^(٢)، فقال له عمر: فهلاً سلبت درعه فإنها تساوي ثلاثة آلاف وليس في العرب مثلها؟ فقال ﷺ: إني استحييت أن أكشف ابن عمي^(٣).

ثم تلقاه النبي ﷺ فمسح الغبار عن عينيه وقال له: «لو وُزن اليوم عملك بعمل جميع أمة محمد لرجح عملك علي عملهم»^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧.

(٤) كنز الفوائد ١٣٨، بحار الأنوار ٢٠: ٢١٥.

(٣)

بداية الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام (١)

(٤ / شوال / ٣٢٩ هـ)

لعلّ أهم بحث يرغب المسلم معرفته، ويتعطّش المؤمن لاستماعه وفهمه، هو البحث عن غيبة الإمام المنتظر عليه السلام، ومعرفة الأسباب التي دعت إلى هذه الغيبة، والعوامل الكامنة خلف احتجابه عن أنظار المسلمين، وعدم الحضور في المجتمع لممارسة مهامه كإمام وزعيم في الساحة الاجتماعية والسياسية وغيرها، كما يهم القراء والمستمعين معرفة معنى الغيبة وأسبابها وفوائدها، ومعرفة توابع الغيبة من امتداد عمره الشريف إلى يومنا هذا، وعدم خضوع الإمام لظاهرة الشيخوخة وغيرها من المسائل المتعلقة بالغيبة والظهور، التي سوف نتحدث عنها باختصار.

وقد اختلف العلماء والمحدثون حول بداية الغيبة الصغرى، وأنها هل بدأت من أوائل عمر الإمام المهدي عليه السلام، وفي عهد والده الإمام العسكري عليه السلام، أم بدأت بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام؟ المشهور هو القول الثاني، وعليه فتكون الغيبة الصغرى للإمام عليه السلام في سامراء من عام (٢٦٠ هـ) يوم وفاة أبيه الإمام العسكري عليه السلام إلى عام (٣٢٩ هـ) الذي توفي فيه النائب الرابع للإمام المهدي عليه السلام، أبو الحسن علي بن محمد السُّمَّري، وحينئذ تكون الغيبة الصغرى ٦٩ عاماً.

وفي زمن الغيبة الصغرى لما كان الإمام المهدي عليه السلام يرى ضرورة الارتباط بالأمة، وحلّ مشاكلها بقدر المستطاع، وعلى الأخص في الجانب الفقهي والعقائدي رأى تعيين نواب عنه وأولى مهامهم ربط الأمة به، ورفع كتبها التي من خلالها تسأل عمّا ترد إليه عليه السلام، وعلى أيدي هؤلاء كانت ترد الأجوبة والحلول اللازمة في زمن الغيبة الصغرى، وهم أربعة أشخاص من كبار الشيعة كانوا يحظون بلقائه، وهكذا كانت الشيعة تأتي بالأموال الشرعية، ويسلمونها إلى النواب، ويأخذون توقعات الإمام منهم.

(١) نقلت مطالب هذا الفصل بإيجاز من كتاب الإمام المهدي عليه السلام المصلح العالمي المنتظر.

وهؤلاء النواب الأربعة بحسب الترتيب الزمني كما يلي:

الأول: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الأسدي (وكيل الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام).

الثاني: ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري، المتوفى سنة (٣٠٤ هـ).

الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي، المتوفى سنة (٣٢٦ هـ).

الرابع: أبو الحسن علي بن محمد السمرى، المتوفى سنة (٣٢٩ هـ).

بداية الغيبة الكبرى:

وهكذا استمرت النيابة الخاصة للإمام المهدي عليه السلام إلى عام (٣٢٩ هـ) الذي توفي فيه النائب الرابع، وهو أبو الحسن علي بن محمد السمرى.

وابتدأت الغيبة الكبرى من عام (٣٢٩ هـ)، ولا تزال مستمرة إلى الآن، وبذلك انقطعت طرق الاتصالات بالإمام المهدي عليه السلام، وقد أرشد الإمام عليه السلام الشيعة لحل مشاكلهم وأخذ معالم دينهم بإرجاعهم إلى رواة الأحاديث، والعلماء في التوقيع الذي كتبه إلى أحد وجهاء الشيعة، وهو إسحاق بن يعقوب، بواسطة النائب الثاني محمد بن عثمان والذي جاء فيه: «... وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلي رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليكم...»^(١).

وينقل المرحوم الطبرسي رحمته الله في كتاب (الاحتجاج) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ضمن حديث: «وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»^(٢).

فقد فوض الإمام عليه السلام شؤون المسلمين في زمان الغيبة الكبرى إلى الولي الفقيه الجامع للشرائط، وصحيح انّ منصب الفتوى والقضاء كان قد جعل للفقهاء من قبل بواسطة الأئمة عليهم السلام، وفي عهدهم إلا أنّ شرعية المرجعية، والزعامة والحكومة تبدأ من تاريخ الغيبة الكبرى، وهي مستمرة إلى ظهور الإمام صاحب الأمر والزمان عليه السلام، وعندما يظهر يكون هو المرجع والزعيم والحاكم إن شاء الله.

(١) هذا نص في كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي، أما في (إكمال الدين) للشيخ الصدوق ٢: ٤٨٤ فقد ورد الشطر الأخير - من الحديث - هكذا: «وأنا حجة الله عليهم» وفي كتاب (الاحتجاج) للطبرسي ٢: ٤٧٠ لا يوجد لفظ «عليهم» ولا «عليكم».

(٢) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٢٦٣، بحار الأنوار ٢: ٨٨.

وفي ضوء الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام أثرت بعض الشكوك والأوهام، وتبادرت إلى أذهان الناس، بعض التساؤلات، عن جدوى وجود الإمام المهدي عليه السلام حال غيبته الكبرى؟ وما فائدة الناس به؟ وما ينتفعون منه؟ وكيف عمّر إلى هذا اليوم؟ وغيرها من الشبهات والتساؤلات، نطرح بعضها ونجيب عنها باختصار.

أسباب غيبة الإمام المنتظر عليه السلام وفوائدها:

لا شك أنّ الغيبة هي من أسرار الله تعالى، وهو أعرف بأسبابها وفوائدها الحقيقية، ولكن هناك ثمة أسباب صرّحت بها الأخبار والأحاديث نذكر بعضها:

من تلك الأسباب أن حياة الإمام المهدي عليه السلام كانت مهددة بالقتل من قبل الحكّام العباسيين فكانوا يبحثون عنه في كل مكان حتى فتشوا دار الإمام العسكري عليه السلام، ولذا كان الإمام العسكري يحاول إخفاء ولادة الإمام عليه السلام عن عامّة الناس، تحفظاً على حياة ولده من شر الحكّام العباسيين، وهكذا استمر الخطر عليه من قبل سائر الحكّام كالعثمانيين، وغيرهم ممّن حكموا بلاد الشرق، لأنهم علموا بأنّ المهدي عليه السلام هو الذي يزلزل كراسي الظالمين، ويدمّر كيانهم، ولا زال الخطر محدقاً بالإمام، وهذا الأمر سبب طول غيبته، لذا شيعته دائماً يدعون له بالسلامة من الأعداء، والتعجيل في ظهوره وفرجه.

وثمة سبب آخر غلّل به غيبة الإمام عليه السلام، وهو امتحان العباد واختبارهم، وتمحيصهم، ولذا كان انتظار الفرج والظهور من أفضل العبادات، كما صرحت بذلك الروايات.

وهنا يطرح سؤال وهو: ما الفائدة من وجود إمامٍ غائبٍ؟ وكيف ينتفع الناس به؟!

لقد وردت أحاديث متعددة تذكر فوائد وجود الإمام الغائب عليه السلام، ووجه الانتفاع به، وفيما يلي نذكر بعضها:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟

فقال صلى الله عليه وآله: «إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّ لها السحاب»^(١)، وهذا تمثيل غاية في العلمية والدقة.

فالشمس أمان للمجموعة الشمسيّة من الفناء والزوال، وفيها فائدة عظيمة للإنسان والحيوان

والنبات، والهواء والماء والجماد، وأن عملية التمثيل الضوئي التي هي اساس الحياة على الأرض تجري بوجود الشمس من خلف السحاب كذلك.

ومن الواضح أن السحاب لا يغير شيئاً من تأثير الشمس، وفوائدها، وإنما يحجب الشمس عن الرؤية - في المنطقة التي يخيم عليها السحاب - فقط.

فالإمام المهدي عليه السلام الذي شُبّه بالشمس وراء السحاب هو الذي بوجوده يتنعم البشر وتنتظم حياتهم وهو أمان لأهل الأرض، لأنّ الأرض لا تخلو من الحجة، ولو خلت لساخت بأهلها. وورد هذا المعنى في رسالة الإمام المهدي عليه السلام إلى إسحاق بن يعقوب: «... وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء...» وأيضاً قد أعلن الإمام عليه السلام عن فائدة وجوده وهو غائب عن الأنظار في إحدى رسائله للشيخ المفيد قده، حيث قال عليه السلام: «إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم الأواء^(١)، واصطلمكم^(٢) الأعداء...»^(٣).

وبالإضافة إلى هذا فإنّ إمام العصر أرواحنا فداه يحضر في مواسم الحج كل عام، ويتردد على المجالس والمحافل، وما أكثر المشاكل التي يحلّها بالواسطة، أو من دون واسطة لبعض المؤمنين، ولعل الناس لا يرونه ولا يعرفونه، ولكن الإمام عليه السلام يراهم ويعرفهم، وقد ظفر كثير من الناس بلقائه خلال الغيبة الصغرى، والكبرى ورأوا الكثير من معجزه وكراماته، وحلّت على يديه مشاكل عدد من المؤمنين.

ويستفاد من الأحاديث والأخبار المتواترة بأن لقاءات الإمام المهدي عليه السلام لا تنحصر في عدد معين ومكان معين، بل تشمل كل من له صلاحية هذا الالتقاء في كل عصر، وفي أي مكان بالأخص الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة، فالأخبار الدالة على مشاهدته في الغيبة الكبرى كثيرة وعددها يفوق حد التواتر، بحيث نعلم لدى مراجعتها واستقراءها، عدم الكذب والخطأ فيها في الجملة^(٤).

(١) الأواء: الشدة - المصباح ٢: ٢٥٦.

(٢) اصطلمه: استأصله - القاموس ٤: ١٤٠.

(٣) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٩٨.

(٤) راجع بحار الأنوار للعلامة المجلسي، وكتاب النجم الثاقب للميرزا النوري، وكتاب تاريخ الغيبة الكبرى للسيد الصدر وقد ناقش هؤلاء العلماء في كتبهم قضية الإلتقاء بالإمام في الغيبة الكبرى، وعدم تعارضها مع أمر الإمام المهدي عليه السلام في توقيعه للشيخ السمرى بتكذيب من ادعى المشاهدة في الغيبة الكبرى وأثبتوا جواز الإلتقاء بالإمام في الغيبة الكبرى وذكروا بعض الحكايات وقصص الذين تشرفوا بلقاء الإمام عليه السلام.

وتشمل هذه المقابلات قضاء حوائج المؤمنين بمختلف أقسامها المادية والمعنوية، كما تشتمل على توجيه، الوصايا التربوية، وتوضيح غوامض المعارف الإلهية، أو التنبيه إلى الأحكام الشرعية الصحيحة، وغير ذلك من مهام الإمام في كل عصر.

وتحققت من هذه اللقاءات إضافة لذلك ثمار مهمة تتمحور حول ترسيخ الإيمان بوجوده ﷺ، وإزالة التشكيكات الواردة حوله في كل عصر بما يعزز سيرة المؤمنين في التمهيد لظهوره ﷺ.

وهذه الكتب المؤلفة في أزمنة مختلفة، وبلاد متفاوتة ألفتها ثقات لا يعرف بعضهم بعضاً، وفيها من الحكايات الشاهدة لما ذكرنا من مشاهدة الإمام المهدي ﷺ، والتشرف بخدمته.

حقيقة الإنتظار ، وأهميته في عصر الغيبة:

الانتظار عبارة عن: كيفية نفسانية وقلبية ينبعث منها التهيؤ لما ينتظر، وضده اليأس، فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ أكد، فالمؤمن المنتظر مولاه كلما اشتد انتظاره ازداد جهده في التهيؤ لذلك، بالورع والاجتهاد وتهذيب النفس عن الرذائل، والتحلي بالأخلاق الحميدة حتى يفوز بزيارة مولاه، ومشاهدة جماله في زمان غيبته كما اتفق ذلك لجمع كثير من الصالحين، ورواية أبي بصير دالة على توقف فوز المشاهدة والصحبة على ذلك، حيث قال الإمام الصادق ﷺ: «من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه...»^(١).

فالانتظار الحقيقي لفرج وظهور إمام العصر الذي يكون عبادة، بل أفضل الأعمال والعبادات، كما صرحت به الروايات^(٢) هو الانتظار البناء الباعث للتحرك والالتزام الديني، ولا يتحقق هذا الانتظار الحقيقي إلا ضمن الشروط التالية التي تعتبر من تكاليف المؤمنين الموالين للإمام المهدي المنتظر في زمن غيبته الكبرى.

هذا والإمام المهدي ﷺ قد صرّح بحقيقة إنتظار فرج ظهوره في كتابه إلى الشيخ المفيد^(٣)، بقوله: «فليعمل كل امرء بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يُدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٩٨.

(٢) كمال الدين: ٦٤٥، بحار الأنوار ٥٢: ٨٢٣.

بغته فجاءه حين لا تنفعه توبه، ولا يُنجيه من عقابنا ندم علي حوبه^(١) واللّه يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته»^(٢).

ومن أهم تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة التي أكدتها الأحاديث الشريفة، هو الدعاء للإمام المهدي عليه السلام بالحفظ والسلامة من الأعداء، والتصديق عنه وتعجيل فرجه وظهوره والنصر على أعدائه، والمواظبة على زيارته، وغير ذلك مما ذكرته الروايات.

ومن أفضل الأدعية التي يندب بها الإمام الحجة لتعجيل ظهوره، هو دعاء الندبة المعروف الذي يستحب قرائته في صباح كل جمعة، وقد اعتاد شيعة الإمام ومحبوه ومنتظروه أن يقرأوا هذا الدعاء كل جمعة، في الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة، وفي البيوت.

ومن تلك الأدعية المهمة المعروفة التي ينبغي لكل مؤمن منتظر أن يدعو بها في زمن الغيبة، دعاء الإمام الصادق عليه السلام الذي علّمه لزرارة، وقال له: إذا أدركت زمن غيبة القائم ادع بهذا الدعاء: «اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني نبيك فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني، اللهم لا تمّتنى ميتة جاهلية...»^(٣).

ثم إن من جملة معتقدات الإمامية استحباب زيارة الأئمة عليهم السلام، ويتأكد هذا الاستحباب في حق مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام، لأنه إمام عصرنا وسيد زماننا، فنزوره بالزيارة الجامعة الكبيرة، ونتأمل في معانيها خصوصاً في: «مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم»، لأنه يعكس الحالة النفسية للانتظار المشروع، وكذا ينبغي زيارته بالزيارات الأخرى الواردة في كتب الأدعية والزيارات خصوصاً زيارة آل ياسين، والتي أراد الإمام المهدي عليه السلام من شيعته أن يزوره بها، ثم يدعو له عقيبتها بما يأتي من الدعاء بعدها، الذي فيه الدعاء له بالتعجيل في الظهور، والنصر له على الأعداء، وقد وردت هذه الزيارة بكاملها مع الدعاء المبارك للمهدي عليه السلام في كتاب الاحتجاج للطبرسي، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري أنه قال: خرج التوقيع من الناحية المقدسة حرسها الله تعالى - بعض المسائل - : بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمر الله تعقلون، ولا من أوليائه تقبلون، حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين...

(١) الحوبة: الخطيئة والحبوب: الإثم - مجمع البحرين.

(٢) الإحتجاج للطبرسي ٢: ٥٩٩ .

(٣) أصول الكافي ١: ٣٣٧، الغيبة للنعماني ٧: ١٦٦، كمال الدين ٢: ٣٤٢.

التوجه بنا إلى الله وإلينا، فقولوا كما قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ إِنْ يَأْسِينِ...﴾.

(٤)

غزوة حنين

(٦ / شوال / عام ٨ هـ)

حنين وادٍ بين مكة إلى الطائف إلى جانب ذي المجاز، وهو اليوم يبعد (٤٠) كم عن مكة تقريباً. وكان يبعد عن مكة كما يقولون، مسير ثلاث ليال.

بلغ الخبر هوازن في مضاربها حوالي الطائف، بأن رسول الله ﷺ يتجهز لإخضاعهم لدين الله تعالى، والواقع أن الرسول ﷺ عندما خرج إلى فتح مكة أظهر أنه يريد هوازن. فاجتمع رؤساء هوازن وأمروا عليهم مالك بن عوف^(١) وأخذ يتهيئون بالرجال والسلاح منذ ذلك الحين. ولكي يستमित الرجال في قتال المسلمين أمر مالك بالخروج بالعوائل وملاقة المسلمين في واد حنين.. وهكذا كان.

وذكر خبر هوازن هذا للرسول ﷺ، وأنهم اجتمعوا في أوطاس، وكان في مكة بعد فتحها. بدأ ﷺ يعد الجيش حتى بلغ أكثر من عشرة آلاف رجل وألف من أهل مكة بعد الفتح (مسلمة الفتح)^(٢)، وفي سيرة بن هشام ٤: ٨٤ معه ألفان من مسلمة الفتح.

قال المفيد في (الإرشاد): «لما استظهر رسول الله ﷺ في غزاة حنين بجمع كثير وخرج متوجهاً إلى القوم في عشرة آلاف من المسلمين، ورأوا جمعهم وكثرة عدتهم وسلاحهم، ظن أكثرهم أن لن يغلبوا لذلك»^(٣)، وقد وصفهم الله تعالى في محكم كتابه: ﴿... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَكَلْتُمُ الْمَدْبُرِينَ﴾^(٤).

ولما كان الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين وكان وادياً أجوفاً له

(١) تفسير القمي ١: ٢٨٥.

(٢) مجمع البيان ٥: ٢٩.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٢٧٠.

(٤) التوبة: ٢٥.

شعاب ومضائق ففرق الناس فيه، على أن يحملوا على محمد وأصحابه حملة واحدة.

وعلى الجانب الثاني وفي سحر نفس الليلة عبأ رسول الله أصحابه فصفهم صفوفاً.. وطاف ﷺ على الجيش وبشرهم بالفتح إن صدقوا وصبروا، وجعل شعار المهاجرين، بني عبد الرحمن، وجعل شعار الأوس، بني عبيد الله، وسمى خيله خيل الله.

قال القمي في (تفسيره): كانت بنو سليم على مقدمته، فخرجت عليها كتائب هوازن من كل ناحية، فانهمت بنو سليم، وانهمن وراءهم، ولم يبق أحد إلا انهزم، وبقي أمير المؤمنين ﷺ يقاتل في نفر قليل.

محاولة قتل رسول الله ﷺ:

صفوان بن أمية بن خلف المقتول في بدر، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة من بني عبد الدار المقتول هو الآخر ببدر بسيف حمزة وعلي تعاهدا: إن دارت الدائرة على رسول الله ﷺ أن ينقلبا عليه فينتقمان منه^(١).

وفي لحظات الحرج تلك، حيث انهزم المسلمون إلا الثابتين، كان صفوان مع شيبة يقفان خلف النبي ﷺ، لكن صفوان أعرض عما تعاهد عليه مع شيبة، فصاح به أخوه كلدة بن الحنبل: ألا بطل السحر اليوم!

فصاح به صفوان: اسكت فض الله فاك! فوالله لئن يرني رجل من قريش أحب إلي من أن يرني رجل من هوازن^(٢).

والثابتون في ذلك اليوم مع النبي ﷺ عشرة، ثمانية من بني هاشم وعلي ﷺ وأيمن بن أم أيمن الذي قتل في المعركة.

والثوابت من النساء، كانت أم حارث الأنصارية، أوقفت زوجها عن الهرب وأعادته إلى جنب رسول الله ومر بها عمر بن الخطاب مولياً، فصاحت به: يا عمر! ما هذا! فقال عمر: أمر الله^(٣).

وكذا أم عمارة، جردت سيفاً وثبتت ومعها أم الحارث، وأم سليط وأم سليم وهي حامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها خنجر سلته وهي تصيح بالأنصار: أية عادة هذه! ما لكم والفرار! ونظرت إلى

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٩.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي نقلاً عن سيرة ابن هشام وإعلام الوری ١٣: ٢٧٩.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٤.

رجل من هوازن حامل لواء لهم على جمل وهو يتابع المسلمين، فاعترضته وضربت بخنجرها عرقوب جملة فوق على ذيله، فضربت الرجل بخنجرها حتى قتلتها وأخذت سيفه.

تقول أم سليم: وكان المسلمون قد بلغ أقصى هزيمتهم مكة، ورسول الله قائم مصلت بيده سيفه قد طرح غمده وينادي: يا أصحاب سورة البقرة!

وروى الطبرسي في (إعلام الوري) عن سلمة بن الأكوع قال: نزل رسول الله ﷺ عن البغلة بنفسه فقبض قبضة من التراب ثم ركب واستقبل به وجوه القوم ورماه وقال ﷺ: شأهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة، فولوا مدبرين وأتبعهم المسلمون يقتلون فيهم، وفرّ مالك بن عوف زعيم هوازن^(١).

نزول النصر:

ونزل النصر من السماء، فكانت هوازن تسمع قعقة السلاح في الجو، قال الطبرسي عن سعيد بن المسيب عن رجل من هوازن كان معهم يوم حنين:

«لما التقينا يوم حنين كشفناهم وجعلنا نسوقهم حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ على البغلة الشهباء، فتلقانا رجال بيض الوجوه، قالوا لنا ارجعوا، وركبوا أكتافنا فرجعنا، يعني الملائكة»^(٢).

وبعد أن انهزمت هوازن هرب مالك بن عوف إلى الطائف وتحصن في قصر هناك، حيث تجمعت ثقيف، أما الأعراب فقصدوا أوطاس، فأمر النبي ﷺ أبا عامر الأشعري في جماعة ليتبعهم إلى هناك، فتبعهم وقتلهم إلا أنه قتل ~~جولته~~ .

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم أن تجمع ونادي مناديه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يفل، ومن أصاب شيئاً من المغنم فليرده.

وروى الطبرسي في (إعلام الوري) عن .. الصادق عليه السلام قال:

«سبي رسول الله ﷺ يوم حنين أربعة آلاف إنسان، واثنى عشر ألف ناقه سوي ما لا يعلم من الغنائم، وكان السبي من النساء والذراري ستة آلاف»^(٣).

(١) إعلام الوري ١: ٢٣٢.

(٢) مجمع البيان ٥: ٣٠.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٢٩٤.

(٥)

معركة أحد وشهادة حمزة عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله

(٧ / شوال / السنة ٣ هـ)

كان سبب غزوة أحد: أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون. قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا النساء يبكين على قتلاكم فإنّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد ويشمت بنا هو وأصحابه^(١).

فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف، وأخرجوا معهم النساء يذكرنهم ويحثنهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخرجت معهم هند بنت عتبة بن ربيعة.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك جمع أصحابه وأخبرهم: أن الله قد أخبره: أن قريشاً قد تجمعت تريد المدينة^(٢).

قال الطبرسي: واستشار أصحابه ونزل صلى الله عليه وآله الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل^(٣).

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله فتهيأ للقتال، وجعل على راية المهاجرين علياً عليه السلام، وعلى راية الأنصار سعد بن عباد، وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله في راية الأنصار^(٤).

ووضع صلى الله عليه وآله عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب، وقال له ولأصحابه: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تخرجوا من هذا المكان، وإن رأيتمهم قد هزمنونا

(١) تفسير القمي ١: ١١٠.

(٢) تفسير القمي ١: ١١١.

(٣) تفسير القمي ١: ١١١.

(٤) إعلام الوری ١: ١٧٦.

حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا منازلكم^(١).

وقال ﷺ لهم: اتقوا الله واصبروا، وإن رأيتمونا يخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم.

وقال ﷺ: لا تبرحوا مكانكم هذا وإن قتلنا عن آخرنا، فإنما نُؤتي من موضعكم هذا^(٢).

نشوب الحرب:

وأول من أنشب الحرب هو أبو عامر عبد عمرو إذ طلع في خمسين من قومه، فتراموا فيما بينهم والمسلمين بالحجارة، ثم ولّوا مدبرين^(٣).

وتقدّمت نساء المشركين أمام صفوفهم قبل اللقاء يضربن بالدفوف والطبول الكبار، ثم رجعن فكنّ في أواخر الصفوف خلف الرجال وبين أكتافهم يذكرن من أصيب بيدر ويحرّضن بذلك الرجال ويضربن بالدفوف ويقلن:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
إن تُقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق

فراق غيـر وامـق

بدء البراز بأحد:

قال القمي في (تفسيره): كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدوي، فبرز ونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار، ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ فبرز إليه أمير المؤمنين ﷺ يقول:

يا طلح إن كنت كما تقول لنا خيول ولكم نصول
فأثبت لننظر أيننا المقتول وأيننا أولى بما تقول

(١) تفسير القمي ١: ١١٢.

(٢) الإرشاد ١: ٨٠.

(٣) مغازي الواقدي ١: ٢٢١.

فقد أتاك الأسد الصؤول بصارم ليس به فلؤل

ينصره القاهر والرسؤل

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال طلحة: قد علمت أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك.

فشدّ عليه طلحة فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالترس، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره وسقطت الراية، فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلّقه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً.

وأخذ الراية أبو سعيد فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها مسافع فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض، إلى أن قتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبد الدار أرطاة فسقطت الراية إلى الأرض.

معصية الرّماء:

فحمل الأنصار على مشركي قريش فانهمزوا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله في سوادهم، وانحطّ خالد بن الوليد في مئتي فارس فلقى عبد الله بن جبير وأصحابه فوق الجبل فاستقبلوهم بالسهم فردّوا.

ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ينهبون سواد القوم، فقالوا لعبد الله: تقيمنا ههنا وقد غنم أصحابنا وبقى نحن بلا غنيمة؟! فقال لهم عبد الله: اتقوا الله فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد تقدم إلينا أن لا نبرح.

فلم يقبلوا منه وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم، وبقى عبد الله بن جبير في إثني عشر رجلاً^(١).

وانحطّ خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فرّ أصحابه وبقى في نفر قليل، فقتلوهم على باب الشعب، واستعقبوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف^(٢).

(١) تفسير القمي ١: ١١٢.

(٢) تفسير القمي ١: ١١٣.

ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت، فلاذوا بها.

هزيمة المسلمين ووقوف علي وبعض الصحابة:

وانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه. فلما رأى رسول الله ﷺ الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: «إني أنا رسول الله فإلي أين تفرون عن الله ورسوله».

لم يبق مع الرسول ﷺ إلا أمير المؤمنين ﷺ وأبو دجاجة، وكلما حملت طائفة على الرسول ﷺ استقبلهم أمير المؤمنين ﷺ فيدفعهم عنه ويقتل فيهم حتى انقطع سيفه. فلما انقطع سيفه جاء إلى الرسول فقال: يا رسول الله إن الرجل يقاتل بالسلاح وقد انقطع سيفي. فدفع إليه الرسول سيفه «ذا الفقار» وقال: قاتل بهذا.

فلم يكن يحمل على رسول الله أحد إلا يستقبله أمير المؤمنين ﷺ فإذا رأوه رجعوا، وانحاز الرسول ﷺ إلى ناحية أحد فوقف، فلم يزل علي ﷺ يقاتلهم حتى أصابه في وجهه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة.

وسمعوا منادياً ينادي من السماء: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي». ونزل جبرئيل على الرسول وقال: هذه والله المواساة يا محمد.

فقال الرسول ﷺ: لأنى منه وهو منى. فقال جبرئيل: وأنا منكما.

استشهاد حمزة رضي الله عنه

وكان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له واحد منهم. وكان وحشي عبداً حبشياً لجبير بن مطعم. وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشياً عهداً: لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطينك رضاك.

يقول وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيته يهد الناس هدأً، فمرّ بي فوطأ على جرف نهر فسقط، فأخذت حربتي فهزرتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت مغمّسة بالدم⁽¹⁾.

وجاءت هند فأمرت بشق بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأذنيه ومثلوا به،

(1) تفسير القمي 1: 116.

ورسول الله مشغول عنه لا يعلم بما انتهى إليه أمره .

وقال القمي في (تفسيره): وجاءت إليه هند فقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه وجعلتهما خرصين

(حلقين) وشدتهما في عنقها، وقطعت يديه ورجليه^(١).

(١) تفسير القمي ١ : ١١٧ .

(٦)

هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام

(٨ / شوال / ١٣٤٤ هـ)

البقيع: هي بقعة طاهرة بجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله في الجنوب الشرقي مقابل المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وتضم قبور أربعة من أئمة المسلمين من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهم:

١- الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

٢- الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام.

٣- الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام.

٤- الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام.

كما يضم البقيع أيضاً: قبر العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله، وقبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبر عدد من عمات النبي صلى الله عليه وآله وزوجاته، وبعض أصحابه وعدد من شهداء صدر الإسلام والعديد من الأولياء وكبار شخصيات المسلمين، وفي بعض التواريخ أن عشرة آلاف صحابي دفنوا فيه.

وقد كان البقيع منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مزاراً للمؤمنين إلى يومنا هذا، وهو من أقرب الأماكن التاريخية إلى مبنى المسجد النبوي الشريف.

رسول الله صلى الله عليه وآله يزور البقيع:

ورد في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لما أحسّ بالمرض الذي عراه أخذ بيد علي بن أبي طالب واتبعه جماعة من الناس وتوجه إلى البقيع فقال للذي اتبعه: «إنني قد أمرت بالاستغفار لأهل البقيع».

فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم وقال صلى الله عليه وآله: «السلام عليكم أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها» ثم استغفر لأهل البقيع

طويلاً.

الوهابيون وهدم البقيع

يعتقد الوهابيون على خلاف جمهور المسلمين أن زيارة وتعظيم قبور الأنبياء وأئمة أهل البيت عبادة لأصحاب هذه القبور وهو نوع من انواع الشرك بالله!

ولقد انصبّ غضبهم في كل مكان سيطروا عليه، على هدم قبور الصحابة وخيرة التابعين وأهل بيت النبي ﷺ الذين طهرهم الله من الرجس تطهيراً.. وكانت المدينتان المقدستان (مكة والمدينة) ولكثرة ما بهما من آثار دينية، من أكثر المدن تعرضاً لهذه المحنة ، التي أدمت قلوب المسلمين وقطعتهم عن تراثهم وماضيهم التليد.

وكان من ذلك هدم بقيع الغرقد بما فيه من قباب طاهرة لذرية رسول الله ﷺ وأهل بيته وخيرة أصحابه وزوجاته وكبار شخصيات المسلمين.

وكان أول هدم للبقيع من قبل الوهابيين عام (١٢٢٠هـ) وعندما سقطت الدولة على يد العثمانيين أعاد المسلمون بناءها على أحسن هيئة من تبرعات المسلمين فبنيت القبة والمساجد بشكل فني رائع حيث عادت هذه القبور المقدسة محط رحال المؤمنين بعد أن ذهب خط الوهابيين لحين من الوقت.

ثم عاودوا الوهابيون الكرة على المدينة المنورة مرة أخرى في الثامن من شوال عام (١٣٤٤هـ الموافق لـ ٢١ نيسان ابريل ١٩٢٥م) وقاموا بتهديم المشاهد المقدسة للأئمة الأطهار (عليهم السلام) وأهل بيت رسول الله ﷺ في البقيع ،بعد تعريضها للإهانة بفتوى من بعض علمائهم.

ولكن مع كل ما فعلوه لم تتحقق أهدافهم وبقي مكانة أصحاب تلك المراقد والقبور عند المسلمين فيزورونها طوال السنة خصوصاً في موسم الحج والعمرة.

(٧)

غزوة وسرية بني سليم

(١٠ / شوال / السنة ٢ هـ)

إنَّ سرية رسول الله ﷺ التي بعثها ﷺ بقيادة غالب بن عبد الله الليثي إلى بني سليم وغطفان، كانت في يوم الأحد لعشر ليالٍ مضيّين من شوال من السنة الثانية للهجرة. فكان النصر لسرية رسول الله ﷺ مع أنهم فقدوا ثلاثة، وعادوا بالنعم والغنيمة إلى المدينة يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال^(١).

ويقول الطبري عن سبب الغزوة والسرية إلى بني سليم وغطفان أنه بلغ رسول الله ﷺ اجتماعهم عليه، إذ كان البدء بحصار قينقاع يوم السبت للنصف من شوال في قول الواقدي. إذن فمقدمات الغزوة وقعت في هذه الفترة (ثلاثة أيام) بين عودة الرسول ﷺ من بني سليم وحصار بني قينقاع.. وحيث يستمر حصارهم إلى هلال ذي القعدة^(٢).

(١) تفسير القمي ١ : ١١٧.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢ : ١٩١.

(٨)

رد الشمس لعلي عليه السلام في مسجد الفضيل

(١٥ / شوال / السنة ٣ هـ)

إنّ حادثة رد الشمس لعلي عليه السلام وردت في مصادر كتب الفريقين وصحّحها بعض من علماء أهل السنة، قال ابن حجر في (فتح الباري):

(وقع في (الأوسط) للطبراني من حديث جابر أن النبي أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار، وإسناده حسن.

ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا صلّى الله عليه وآله فلم تحبس الشمس إلا ليوشع، وليس فيه نفي أنها تحبس بعد ذلك لنبينا صلّى الله عليه وآله.

وروى الطحاوي والطبراني في (الكبير) والحاكم والبيهقي في (الدلائل) عن أسماء بنت عميس أنه صلّى الله عليه وآله دعا لما نام على ركبة علي ففاته صلاة العصر. فردت الشمس حتى صلى علي ثم غربت وهذا أبلغ في المعجزة^(١).

وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه (الصواعق المحرقة) عند ذكر فضائل علي عليه السلام: ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي صلّى الله عليه وآله في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصل العصر فما سري عنه صلّى الله عليه وآله إلا وقد غربت الشمس فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فأردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت»^(٢).

ويعتبر ابن كثير أن فعل علي عليه السلام وحده حجة وهذا دأب كل من يحسن الأدب أمام أمثال الإمام علي عليه السلام، فعلى قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس. فهذا إقرار لعلي عليه السلام على فعله.

(١) فتح الباري ٦: ٢٢٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٩٧.

ولكن مع ذلك كله فالرواية الأسلم من مصادر الشيعة أن علياً عليه السلام صلى من جلوس إيماءاً وردّت الشمس لكي يصلي صلاة تامة من الركوع والسجود، فقد قال الشيخ المفيد في (الإرشاد): ومما أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار ورواه علماء السيرة والآثار ونظمت فيه الشعراء الأشعار: رجوع الشمس له عليه السلام مرتين: في حياة النبي صلى الله عليه وآله مرة وبعد وفاته مرة أخرى.

وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولى ما روته أسماء بنت عميس وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من الصحابة: أن النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم في منزله وعلي عليه السلام بين يديه إذ جاءه جبريل عليه السلام يناجيه عن الله سبحانه فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام فلم يرفع رأسه عنه حتى غابت الشمس فاضطر أمير المؤمنين عليه السلام لذلك أن يصلي صلاة العصر جالساً يومئ بركوعه وسجوده إيماءاً فلما أفاق من غشيته قال لأmir المؤمنين عليه السلام: أفاتتك صلاة العصر؟ قال له: لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي، فقال له: ادع الله حتى يردد عليك الشمس لتصليها قائماً في وقتها كما فاتتك فإن الله تعالى يجيبك لطاعتك الله ورسوله، فسأل أمير المؤمنين عليه السلام الله في رد الشمس فردت...^(١).

ثم ذكر المرة الثانية قائلاً:

وكان رجوعها بعد النبي صلى الله عليه وآله أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم فصلى عليه السلام بنفسه في طائفة معه العصر، فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس وفاتت الصلاة كثيراً منهم وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلموا في ذلك فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه لتجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها فأجابه الله في ردها عليه^(٢).

وكذلك نقل العلامة المجلسي في (البحار) قول الشيخ الصدوق تعليقاً على رواية ظاهرها أنه لم يصل: ولعله صلى إيماء قبل ذلك أيضاً^(٣).

وهذه الحادثة (ردّ الشمس) نظمها السيد الحميري في شعر له، فقال:

(١) الإرشاد ١: ٣٤٥.

(٢) الإرشاد ١: ٢٤٦.

(٣) بحار الأنوار ٤١: ١٦٧.

وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
للعصر ثم هوت هوى الكوكب
أخرى وما ردّت لخلق مغرب

ردّت عليه الشمس لما فاته
حتى تبلّج نورها في وقتها
وعليه قد ردّت بابل مرة

(٩)

وفاة السيد عبد العظيم الحسيني عليه السلام

(١٥ / شوال / السنة ٢٥٢ هـ)

عبد العظيم الحسيني ينتهي نسبه الشريف بوسائط أربع إلى سبط خير الوري الإمام الحسن المجتبي عليه السلام فهو عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد في الرابع من ربيع الثاني عام (١٧٣هـ) في المدينة المنورة، وتوفي في النصف من شوال عام (٢٥٢ هـ)، كما في منتخب التواريخ للخراساني وكما في كتاب الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية) للإمام فخر الرازي، ومرقده الشريف في الرّي (بجوار طهران)، معروف مشهور، وعلو مقامه وجلالة شأنه أظهر من الشمس فإنه من سلالة خاتم النبيين وهو مع ذلك من أكابر المحدثين واعاظم العلماء والزهاد والعباد وذوي الورع والتقوى وهو من أصحاب الإمام الجواد والهادي عليه السلام، وقد روى عنهما أحاديث كثيرة، وهو المؤلف لكتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب اليوم والليلة، وهو الذي عرض دينه على إمام زمانه الإمام الهادي عليه السلام، فأقره وصدقته، وقال عليه السلام:

«يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه فاثبت عليه، ثبتك الله بالقول الثابت في الدنيا والآخرة».

وفي كتاب (الرجال) للنجاشي أنه خاف من السلطان المتوكل العباسي فطاف بالبلدان ثم ورد إلى ري وسكن سرباً في دار رجل من الشيعة في سكة الموالي وكان يعبد الله في ذلك السرب ويصوم نهاره ويقوم ليله وكان يخرج مستتراً فيزور القبر المقابل لقبره ويقول هو قبر حمزة من ولد موسى بن جعفر عليه السلام فلم يزل يأوي إلى ذلك السرب ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمد (عليه وعليهم السلام) حتى عرفه أكثرهم (رجال النجاشي: برقم ٦٥٣).

وقال المحقق الداماد في كتاب الرواشح إن في فضل زيارة عبد العظيم روايات متضافرة، وروي

أن من زار قبره وجبت له الجنة.

وروى ابن بابويه وابن قولويه بسند معتبر عن رجل من أهل الري عن الإمام علي الهادي النقي (صلوات الله عليه) قال: دخلت عليه فقال: أين كنت؟ فقلت: زرت الحسين عليه السلام. قال: أما لو أنك زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) ^(١).

(١) ثواب الأعمال: ٩٩، بحار الأنوار ٩٩: ٢٦٨، وسائل الشيعة ١٤: ٥٧٥.

(١٠)

غزوة بني قينقاع

(١٧ / شوال / السنة ٢ هـ)

لقد قدم رسول الله ﷺ أفضل المثل في الأخلاق والآداب، ولا سيما مع يهود المدينة، وبالأخص المعاهدة التي عقدها مع بني قينقاع، وقد كان ﷺ حريصاً كل الحرص على تنفيذ ما جاء في هذه المعاهدة، وفعلاً لم يأت من المسلمين ما يخالف حرفاً واحداً من نصوصها، ولكن اليهود الذين ملئوا تاريخهم بالعدو والخيانة ونكث العهود، لم يلبثوا أن عادوا إلى طبائعهم القديمة، وأخذوا في طريق الدسّ والمؤامرة والتحريش وإثارة القلق والاضطراب في صفوف المسلمين.

قال ابن سعد: وكانت (أي غزوة بني قينقاع) يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة.

وقال ابن إسحاق: وكان من أمر بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال: يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم. قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك ولا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت لهم فرصة، أما والله لو حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس. فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبيرة أو عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سُّعُوبٌ وَسُوءُ مَصِيرٍ﴾ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴿أَيُّ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَرِيشٍ - ﴿فِنَّهُ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرِي كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ قال: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنهم كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه^(١).

قال ابن سعد: وكانوا قوماً من يهود حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع يهود،

(١) سيرة ابن إسحاق ٣: ٥٠.

وكانوا صاغة فوادعوا النبي ﷺ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد والمدة فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ .
فقال رسول الله ﷺ: أنا أخاف خيانة بني قينقاع. فسار إليهم ولواؤه بيد حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض ولم تكن الرايات يومئذ واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر وحاصروهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وكانوا أول من غدر من اليهود، وحاربوا وتحصنوا في حصنهم فحاصروهم أشد الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ على أن لرسول الله ﷺ أموالهم وأن لهم النساء والذرية فأنزلهم فكتفوا واستعمل على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي فكلم ابن أبي فيهم رسول الله ﷺ وألح عليه فقال: حلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل. وأمر أن يجلووا من المدينة وتولى ذلك عبادة بن الصامت فلحقوا بأذرعَات فما كان أقل بقائهم، بها وذكر ما تنفل رسول الله ﷺ من سلاحهم وسيأتي ذكرنا له وخمست أموالهم فأخذ رسول الله ﷺ صفيية الخمس وفض أربعة أخماس على أصحابه.

فكان أول ما خمّس بعد بدر.

وكان الذي ولي قبض أموالهم محمد بن مسلمة^(١).

فتح الأندلس على يد المسلمين

(٢٣ / شوال / سنة ٩٢هـ)

غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفاً، فلقي ملك الأندلس واسمه أذرينوق^(١) - وكان من أهل أصبهان وهم ملوك عجم الأندلس - فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الأذرينوق في سرير الملك وعليه تاجه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الأذرينوق وفتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين، قالوا: أول من سكنها قوم يعرفون بالأندلس بشين معجمة - فسمي البلد بهم ثم عرب بعد ذلك بسين مهملة، والنصارى يسمون الأندلس إشبانية باسم رجل صلب فيها يقال له: إشبانس، وقيل: باسم ملك كان بها في الزمان الأول اسمه إشبان بن طيطس، وهذا هو اسمها عند بطليموس، وقيل: سميت بأندلس بن يافث بن نوح وهو أول من عمرها.

وبعد أكثر من خمسمئة عام من حكم المسلمين على هذا البلد سقطت الأندلس في ١٧ من شهر صفر السنة ٦٣٦هـ على يدي الإفرنج وعندما نرجع إلى التاريخ نجد أن سبب الاصل في سقوط الأندلس، هو انفصالها عن الدولة الإسلامية وقيامها ككيان مستقل .

فالإسلام الذي حرّر أوروبا ابتداءً من الأندلس إلى جنوب فرنسا والذي كان يتوقع له أن يجتاز كل أوروبا توقف أولاً ثم عاد إلى الانحسار في الوقت الذي وصل فيه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام إلى الأندلس، فقامت الفتن بين المسلمين داخل إسبانيا وانشغلوا في تعزيز الانفصام عن جسد الدولة الإسلامية، ومنذ ذلك اليوم وقفت الأندلس لوحدها في مواجهة أوروبا الغربية كلها، ولم تعد الدولة الأم مسؤولة عنها، وصار عليها أن تواجه مصيرها بنفسها.

آن لنا أن نعيد النظر في دراسة التاريخ ونواجه الحقائق كما هي فلا نتغاضى عنها، وأن نأخذ من

(١) في الطبري (أذرينوق) بالبدال المهملة.

كل ذلك العبرة، وما أكثر ما يمكن أن نأخذ منه العبر^(١).

(١) راجع دائرة المعارف الشيعية ٣: ٢٦١.

(١٢)

شهادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

(٢٥ / شوال / السنة ١٤٨ هـ)

الإمام الهمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، أبوه الإمام محمد الباقر عليه السلام سيد الناس وأعلمهم في عصره، ولم يظهر من أحد في ولد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين والسنن، وعلم القرآن والسير، وفنون الأدب والبلاغة مثل ما ظهر منه ^(١).

وأمه هي السيدة الفاضلة أم فروة بنت الفقيه القاسم بن محمد بن أبي بكر، وكانت من سيدات النساء عفة وشرفاً وفضلاً، فقد تربت في بيت أبيها، وهو من الفضلاء اللامعين في عصره، كما تلقت الفقه والمعارف الإسلامية من زوجها الإمام محمد الباقر عليه السلام، وكانت على جانب كبير من الفضل، فقد كانت مرجعاً لنساء عصرها في مهام أمورهن الدينية.

لقب عليه السلام بالصادق، ونص المؤرخون: أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي سماه بجعفر ولقبه بالصادق، وكان يكنى بأبي عبد الله ^(٢).

وقد اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها، فمن قائل إنه ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ ^(٣)، وآخرون أنه ولد سنة ٨٣ هـ يوم الجمعة، وقيل يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول ^(٤)، وقيل سنة ٨٦ هـ ^(٥).

رحل إلى جوار ربه عن عمر يناهز (٦٥ سنة) في عام ١٤٨ هـ، ودفن في البقيع إلى جوار أبيه

(١) الفصول المهمة: ١٩٢.

(٢) راجع المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٢٨١.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ١٥٧.

(٤) أصول الكافي ١: ٤٧٢، المناقب ٤: ٢٨٠، إعلام الوری: ٢٧١.

(٥) المناقب ٤: ٢٠٨.

الباقر عليه السلام، وقد تزامنت إمامته مع نهاية الحكم الأموي في سنة ١٣٢هـ، وبدايات الحكم العباسي الذي بدأ من ذلك التاريخ، فقد عاصر من الخلفاء العباسيين، هشام بن عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد (المعروف بمروان الحمار)، ومن الخلفاء العباسيين، عبد الله بن محمد (المعروف بالسفاح)، وأبو جعفر (المعروف بالمنصور الدوانيقي)

لمحات مما قيل فيه:

لقد أجمع واصفوه بأنه لُقّب بالصادق عليه السلام لأنه عُرف بصدق الحديث والقول والعمل حتى أصبح حديثَ الناس في عصره، وقال فيه ابن الحجاج:

يا سيداً أروي أحاديثه رواية المستبصر الحاذق
كأنني أروي حديث النبي محمد، عن جعفر الصادق

قال فيه مالك بن أنس أحد أئمة المذاهب: «لقد كنت آتي جعفر بن محمد فكان كثير التبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله تغير لونه وقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن».

وقال فيه أبو حنيفة النعمان: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد».

وكان أبو حنيفة قد تتلمذ على يد الإمام الصادق عليه السلام نحواً من ستين متصلتين حينما فرّ من حبس ابن أبي هبيرة والتجأ إلى الحجاز، فأقام بها إلى أن ظهر أبو العباس السفاح، وبهذه المناسبة كان أبو حنيفة يقول: «لولا السنتان لهلك النعمان».

وقال فيه ابن أبي العوجا عندما قصد الإمام الصادق ليناظره وقد قال له الإمام عليه السلام: «ما يمنعك من الكلام؟ فقال له: إجلالاً لك ومهابة منك ولا ينطق لساني بين يديك وإنني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني من هيبة أحد منهم مثلما تداخلني من هيبتك يا ابن رسول الله».

وقال فيه عبد الله بن المبارك:

أنت يا جعفر فوق المدح والمدح عناء
إنما الأشراف أرض ولهم أنت سماء

جاز حدّ المدح من قد ولدته الأنبياء^(١)

المقام العلمي للإمام الصادق^{عليه السلام}:

اعترف أئمة المذاهب، وعلماء الأمة بالمقام العلمي الشامخ للإمام الصادق^{عليه السلام}، فقد قال أبو حنيفة (النعمان بن ثابت) وهو إمام المذهب الحنفي الشهير: «ما رأيت أعلم من جعفر بن محمد»^(٢)، محمد^(٢)، وقد استدل على أعلميته بأن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس^(٣).

وقال مالك إمام المذهب المالكي: اختلفت إلى جعفر بن محمد زماناً، فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن، وما رأيت قط يحدث عن رسول الله^{صلى الله عليه وآله} إلا على طهارة^(٤)، ولا يتكلم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد والزهاد الذين يخشون الله، وما رأت عين ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً^(٥).

وقال ابن حجر الهيتمي: جعفر الصادق نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من العلوم^(٦).

ويقول أبو بحر الجاحظ أحد علماء القرن الثالث: جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه، ويقال إن أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب^(٧).

وكتب ابن خلكان المؤرخ الشهير: أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن

(١) راجع سيرة الأئمة الاثني عشر ٢: ٢٤٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ١٦٦.

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٤: ٣٣٥.

(٤) تهذيب التهذيب ١: ٨٨.

(٥) تهذيب التهذيب ١: ٥٣.

(٦) الصواعق المحرقة: ٢٠١.

(٧) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١: ٥٥.

الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين) أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات آل البيت، ولقّب بالصادق لصدقه، وفضله أشهر من أن يذكر، وكان أبو موسى جابر ابن حيان الكوفي تلميذاً عنده، وصنف جابر كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائل الإمام جعفر الصادق، وهي خمسمائة رسالة^(١).

الجامعة العلمية الجعفرية

كان عصر الإمام الصادق عليه السلام عصراً فريداً، والظروف الاجتماعية والثقافية التي عاشها لم يعشها أيّ واحد من الأئمة عليهم السلام، ذلك أن تلك الفترة كانت من الناحية السياسية فترة تزعزع الحكم الأموي، واشتداد شوكة العباسيين، وكان الطرفان في صراع مستمر، بدأ الصراع الإعلامي، والنضال السياسي للعباسيين منذ عهد هشام بن عبد الملك، وفي عام ١٢٩هـ دخل الصراع نطاق الكفاح المسلح، وفي نهاية المطاف انتصر العباسيون عام ١٣٢هـ.

ونظراً لانشغال الأمويين خلال هذه الفترة بالمشاكل السياسية الكثيرة لم تسنح لهم الفرصة لمضايقة الإمام الصادق وشيعته، كما أن العباسيين، ولأنهم كانوا يرفعون شعار الدفاع عن أهل البيت والثأر لهم قبل استلامهم مقاليد الحكم لم تكن هناك مضايقة من جانبهم أيضاً، ومن هنا كانت هذه الفترة فترة هدوء وحرية نسبية للإمام الصادق وشيعته، فكانت فرصة مناسبة جداً لتفعيل نشاطهم العلمي والثقافي.

ومن جهة أخرى كان عصره عليه السلام عصر تلاقح وتضارب الأفكار، وظهور الفرق والطوائف والتيارات المختلفة، وانبثقت شبهات وإشكاليات متعددة جراء تضارب عقائد المسلمين مع عقائد أهل الكتاب وفلاسفة اليونان.

وقد ظهرت تيارات و فرق، مثل المعتزلة والجبرية، والمرجئة، والغلاة، والزنادقة، والمشبهة، والمتصوفة، والمجسّمة، والتناسخية وغيرها، وكانت كل فرقة تروج أفكارها وعقائدها، وفضلاً عن ذلك كله كان الخلاف يدب في العلم الواحد من العلوم الإسلامية بين علماء ذلك العلم، فمثلاً كانت تحدث مناقشات حادة في علوم القراءة والتفسير والحديث والفقه والكلام.

(١) وفيات الأعيان ١: ٣٢٧.

نظراً لذلك كله واصل الإمام الصادق عليه السلام الجهود التي ابتدأها أبوه الإمام الباقر، وأسس جامعة علمية كبيرة، علّم وربّى فيها تلامذة كباراً وبارزين، أمثال هشام بن الحكم، ومحمد بن مسلم، وأبان ابن تغلب، وهشام بن سالم، ومؤمن الطاق، والمفضل بن عمر، وجابر بن حيان، وغيرهم كثير في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وقد ناهز عدد تلامذته الأربعة آلاف عالم^(١)، وكان لبعضهم مؤلفات علمية وتلامذة كثيرون، فكان لهشام ابن الحكم واحد وثلاثون كتاباً^(٢)، ولجابر أكثر من مئتي كتاب^(٣) وفي مواضيع مختلفة لا سيما في العلوم العقلية والطبيعية والكيمياوية، وقد أشتهر بأبي الكيمياء.

لقد زحرت هذه الجامعة بطلاب من مختلف المذاهب والفرق، وكان أئمة المذاهب السنية المشهورون بشكل مباشر وغير مباشر تلامذة لديه، وكان على رأسهم أبو حنيفة الذي لازم الإمام سنتين، وجعل هاتين السنتين مصدر علمه ومعرفته، وكان يقول: لولا الستتان لهلك النعمان^(٤).

ويكفي ما قاله الحسن بن علي بن زياد الوشاء في سعة هذه الجامعة فقال: أدركت في هذا المسجد - أي مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد^(٥).

ويقول ابن حجر العسقلاني: فقد حدث عنه فقهاء ومحدثون، مثل: شعبة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، ومالك، وابن جريح، وأبي حنيفة، وابنه موسى، ووهيب بن خالد، والقطان، وأبي عاصم، وجماعة كثيرة^(٦).

وقال المحقق في (المعتبر): إن الذين برزوا من تلامذته وألفوا من أحاديثه وأجوبة مسأله أربعمائة كتاب عُرفت بعد عصره بالأصول وقد اعتمدها المحمدون الثلاثة الكليني والصدوق والطوسي في كتبهم الأربعة (الكافي)، و (كتاب من لا يحضره الفقيه)، و (الوافي)، و (الاستبصار).

ومجمل القول: إن جامعة أهل البيت التي أسسها الإمام الباقر عليه السلام واستقلّ بها ولده الصادق عليه السلام من بعده أكثر من ثلاثين عاماً وقصدها العشرات من العلماء وطلاب العلم في كل مكان كان لها أطيّب الأثر في تاريخ التشريع الإسلامي وإليها يشير إمام المذهب الحنفي بقوله: «لولا الستتان لهلك النعمان»، كما انتمى إليها ولازمها الإمام الثاني من أئمة من المذاهب مالك بن أنس لمدة من الزمن

(١) الإرشاد: ٢٧١.

(٢) إعلام الوری: ٢٨٤.

(٣) الفهرست لابن النديم: ٥١٢.

(٤) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١: ٧٠.

(٥) فهرست مصنفی الشيعة: ٣٩.

(٦) مرآة الجنان ١: ٣٠٤.

كما تؤكد المصادر التي تعرّضت لتاريخه.

شهادة الإمام عليه السلام:

قبيل وفاة الإمام الصادق عليه السلام نصّ على إمامة ولده موسى بن جعفر عليه السلام وأرشد أصحابه إليه كما تواترت بذلك النصوص الصحيحة، وكانت شهادته في الخامس والعشرون من شهر شوال من سنة ١٤٨ هـ، وقيل في النصف من شهر رجب عن ثمانية وستين عاماً، وقيل أكثر من ذلك.

وجاء في رواية الكليني عن أبي أيوب الجوزي أنه قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبن يديه شمعة وفي يده كتاب، فلما سلمت رمى إليّ الكتاب وهو يبكي، وقال: هذا كتاب محمد بن سليمان والي المدينة يخبرني أن جعفر بن محمد قد مات فإنا لله وإنا إليه راجعون وأين مثل جعفر، ثم قال: اكتب فكتبت صدر الكتاب وقال لي: اكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه، فرجع الجواب من والي المدينة أنّه أوصى إلى خمسة: أبي جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى ابني جعفر وحميدة، فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل.

وكان المنصور العباسي دائم الوقعية بالإمام الصادق عليه السلام، فما زال يغتنم فيه الفرص ويوقعه في المحذور والغصص، وقد طلبه مراراً وعزم على قتله سرّاً وجهاراً، وحيث لم يحتم المقدور صرف الله تعالى عنه ذلك البلاء والشور، فلما أحب الله تعالى شهادته وحضر وقته وأحب لقاءه أغار عليه المنصور، فدسّ إليه سمّاً نقيعاً في عنب أو رمان، فأكله سلام الله عليه فجعل يجود بنفسه وقد اخضرّ لونه وصار يتقياً كبده قطعاً قطعاً حتى قضى نحبه ولقي ربّه شهيداً مظلوماً، فلما مات عليه السلام تزعزعت المدينة بسكانها، وخرجت المخدرات من خدورها وأوطانها لاطمات للخدود، كل تنادي: وا إماماه وا جعفراه، وا سيداه.

فقام الإمام الكاظم عليه السلام في جهاز أبيه عليه السلام فغسله وحنّطه كما أمره وكفّنه وعيناه تهملان دموعاً، وحمل جنازته عليه السلام إلى البقيع ودفنه بجوار أبيه وعمه ^(١).

(١) وفيات الأئمة: ٢٤٢.

(١٣)

وفاة إبراهيم عليه السلام ابن النبي صلّى الله عليه وآله

(٢٩ / شوال عام ٨ هـ)

كان مولده في السنة الثامنة للهجرة في شهر ذي الحجة على رواية للكازروني في بحار الأنوار واليعقوبي والطبري عن الواقدي^(١).

جاء في المناقب للحلبي عن تفسير النقاش بإسناده إلى ابن عباس قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه وآله وعلى فخذ الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذ الأيمن الحسين بن علي عليه السلام هو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا، إذ هبط جبرئيل بوحي من رب العالمين، فلما سرى عنه قال: أتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لست أجمعهما، فافد أحدهما بصاحبه.

فقال صلّى الله عليه وآله: يا جبرائيل، قل لربي أن يقبض إبراهيم فديته للحسين.

(١) الطبري ٣: ٩٥ واليعقوبي ٢: ٨٧.

فقبض بعد ثلاث، فكان النبي ﷺ إذا رأى الحسين ﷺ مقبلاً قبله وضمه إلى صدره ورشف ثنياه، وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم^(١).

وروى البرقي في المحاسن بسنده عن الإمام الكاظم ﷺ قال: «لما قبض إبراهيم ابن رسول الله ﷺ جرت في موته ثلاث سنن: أما واحدة، أن الشمس انكسفت فقال الناس: إنما انكسفت الشمس لموت ابن رسول الله! فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا انكسفا أو أحدهما صلوا^(٢)، قال: ثم نزل المنبر فصلى بالناس الكسوف، فلما سلم، قال: يا علي، قم فجهز ابني، فقام علي ﷺ فغسل إبراهيم ﷺ وحنطه وكفنه، ومضى رسول الله حتى انتهى به إلى قبره، فقال الناس، إن رسول الله نسي أن يصلي علي ابنه لما دخله من الجزع عليه! فانتصب ﷺ قائماً ثم قال: إن جبرئيل أتاني وأخبرني بما قلت، زعمتم أني نسيت أن أصلي علي ابنه لما دخلني من الجزع! ألا وإنه ليس كما ظننتم، ولكن اللطيف الخبير فرض عليكم خمس صلوات، وجعل لموتاكم من كل صلاة تكبيراً، وأمرني أن لا أصلي إلا علي من صلي، ثم قال ﷺ: يا علي إنزل وألحد ابني، فنزل علي فألحد إبراهيم في لحده.

فقال الناس: إنه لا ينبغي لأحد أن ينزل في قبر ولده إذ لم يفعل رسول الله بابنه، فقال رسول الله ﷺ: أيها الناس، إنه ليس عليكم بحرام أن تنزلوا في قبور أولادكم، ولكن لست آمن إذا حل أحدكم الكفن عن ولده أن يلعب به الشيطان فيدخله عند ذلك من الجزع ما يحبط أجره».

وروى الطوسي في الأمالي، بسنده عن عائشة قالت: «لما مات إبراهيم بكى النبي ﷺ حتى جرت دموعه على لحيته، فقيل له: يا رسول الله تنهى عن البكاء وأنت تبكي؟!»

فقال ﷺ: ليس هذا بكاء، إنما هو رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم^(٣).

وروى الكليني في فروع الكافي بسنده عن الإمام الصادق ﷺ قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، هملت عين رسول الله بالدموع ثم قال:

«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٨.

(٢) فروع الكافي ٣: ٢٠٨، المحاسن ٢: ٢٩.

(٣) أمالي الطوسي: ٣٨٨.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٧.

جدول مناسبات شهر شوال

السنة	المناسبة	اليوم	ت
	عيد الفطر المبارك	١ / شوال	١
٥ هـ	معركة الخندق (الأحزاب)	== / ٣	٢
٣٢٩ هـ	بداية الغيبة الكبرى للمهدي <small>عليه السلام</small>	== / ٤	٣
٨ هـ	غزوة حنين	== / ٦	٤
٣ هـ	معركة أحد وشهادة حمزة <small>عليه السلام</small>	== / ٧	
١٣٤٤ هـ	هدم قبور أئمة البقيع <small>عليهم السلام</small>	== / ٨	٥
٢ هـ	غزوة وسرية بني سليم	== / ١٠	٦
٣ هـ	رد الشمس للإمام علي <small>عليه السلام</small>	== / ١٥	٧
٢٥٢ هـ	وفاة السيد عبد العظيم الحسنی <small>عليه السلام</small>		٨

السنة	المناسبة	اليوم	ت
٢ هـ	غزوة بني قينقاع (يهود المدينة)	= = /١٧	٩
٩٢ هـ	فتح الأندلس علي يد المسلمين	= = /٢١	١٠
١٤٨ هـ	شهادة الإمام جعفر الصادق <small>عليه السلام</small>	= = /٢٥	١١
١٠ هـ	وفاة إبراهيم ابن النبي الأكرم <small>صلّى الله عليه وآله</small>	= = /٢٩	١٢

الفصل الثاني

ذكرىات شهر ذي القعدة

تمهيد

ذي القعدة، أعمال ومناسبات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على شمس الهداية نبينا محمد وعلى الأقدار المضيئة الأئمة الطاهرين.

شهر ذي القعدة الحرام هو أول الأشهر الحرم ومن أعمال هذا الشهر ومهامه عمل ليلة النصف منه ، فقد روي في (الإقبال) عن أحمد بن جعفر بن شاذان قال: روي عن النبي ﷺ: أن في ذي القعدة ليلة مباركة وهى ليلة خمس عشرة، ينظر الله إلي عباده المؤمنين فيها بالرحمة، أجر العامل فيها بطاعة الله أجر مئة سائح له لم يعص الله طرفه عين. فإذا كان نصف الليل فخذ في العمل بطاعة الله والصلاة وطلب الحوائج، فقد روي أنه لا يبقى أحد سأل الله فيها حاجة إلا أعطاه. ^(١)

واليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر هو يوم دحو الارض: وهو أحد الأيام الأربعة التي خصت بالصيام بين أيام السنة وروي أن صيامه، يعدل صيام سبعين سنة، وهو كفارة لذنوب سبعين سنة وعلى رواية اخرى: ومن صام هذا اليوم وقام ليلته فله عبادة مئة سنة. فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أول رحمة نزلت من السماء إلي الأرض فى خمس وعشرين من ذى القعدة، ومن صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة فله عبادة مئة سنة، صام نهارها وقام ليلها» ^(٢)

وقد ورد من الاعمال ليوم دحو الارض سوى الصيام والعبادة وذكر الله تعالى والغسل ركعتان صلاة ودعاء مخصوص من اراد الاطلاع على كفيتهما فليراجع اعمال شهر ذي القعدة من كتاب مفاتيح الجنان. وقال السيد الداماد في رسالته المسماة الاربعة ايام في خلال يوم دحو الارض: ان

(١) مفاتيح الجنان: أعمال شهر ذي القعدة عن الإقبال .

(٢) إقبال الاعمال، أعمال شهر ذي القعدة .

زيارة الامام الرضا عليه السلام في هذا اليوم هي اكد ادابه المسنونة .

وفيما يتعلق بمناسبات شهر ذي القعدة فهناك مجموعة من الأحداث والوقائع الإسلامية نقدمها للقارئ الكريم بباقات خضراء مكلفة بورود عطرة ، كذكرى تجديد بناء الكعبة المشرفة و ذكرى ميلاد السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، وميلاد أخيها سيدنا ومولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وورد عن الامام الرضا عليه السلام: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها ابراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام، وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة... وقال عليه السلام في رواية اخرى: الا ان فيه يقوم القائم عليه السلام.¹

وهناك مناسبات اخرى في هذا الشهر ، كخروج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة لأداء الحج وغزوة بني قريظة، وفي آخره ذكرى شهادة الإمام محمد الجواد عليه السلام وفيما يلي عرض لتلك الاحداث والوقائع بايجاز .

¹ (راجع مفاتيح الجنان ، أعمال شهر ذي القعدة .

(١)

تجديد بناء الكعبة المشرفة

(اوائل ذي القعدة / زمن النبي إبراهيم عليه السلام)

من المتواتر المقطوع به أن الذي جدّد بناء الكعبة إبراهيم الخليل عليه السلام وابنه إسماعيل، وأن الكعبة هي أول بيت وضعه الله تعالى للعبادة، حتى قبل بيت المقدس، لأن بيت المقدس بناه النبي سليمان عليه السلام، وهو بعد إبراهيم الخليل بزمن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

ولكن هذه الآية وآيات أخرى تشير بشكل واضح إلى أن الكعبة كانت موجودة حتى قبل إبراهيم، وكان قائماً منذ زمن آدم عليه السلام^(٢)، ومما يكشف عن ذلك أيضاً قوله تعالى عن لسان إبراهيم نفسه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾^(٣)، فإنها تدل على أن الكعبة كان لها نوع من الوجود حين جاء إبراهيم مع زوجته، وابنه إسماعيل الرضيع إلى مكة.

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) الأمل في تفسير القرآن ١: ٣٣٥.

(٣) إبراهيم: ٣٧.

وقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى فقال: «ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم (صلوات الله عليه) إلي الآخرين من هذا العالم بأحجار... فجعلها بيته الحرام... ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يشنوا أعطافهم نحوه...»^(١).

فقد روى المسلمون وغيرهم أنه لما ولدت هاجر اسماعيل؛ أمر الله نبيه إبراهيم أن يسكنهما البيت الحرام، وكان في ذلك الوقت على شكل قواعد، فجاء إبراهيم وبرفقته هاجر وابنها إسماعيل وتركهما عند البيت الحرام دون ماء ولا كلاء ولا حتى خيمة تطبيقاً لإرادة الله ونزولاً عند بلائه، فسألته هاجر، أتركنا في أرض لا يوجد فيها أحد؟ فقال لها: الله الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان، وهو الذي يكفيكم، ثم انصرف عنهما فلما بلغ (كداء) وهو جبل بذي طوى التفت إبراهيم، وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مَنْ النَّاسِ تَهَوَّى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾، ثم مضى وبقيت هاجر، فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل، فقامت هاجر في موضع السعي فصعدت على الصفا، ولمع لها السراب في الوادي، فظنت أنه ماء، فنزلت في بطن الوادي، وسعت فلما بلغت المروة غاب عنها إسماعيل، فعادت حتى بلغت الصفا، وهكذا إلى سبعة أشواط، فلما كانت على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعادت حتى جمعت حوله الرمال وزمته، فلذلك سميت زمزم، وكانت قبيلة جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات، فلما ظهر الماء بمكة لهاجر وابنها قالوا لها: من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبي؟ قالت: أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن، وهذا ابنه، أمره الله ان ينزلنا ههنا، فقالوا لها: أتأذنين لنا أن نكون بالقرب منكم؟ فقالت: حتى يأتي إبراهيم، فلما زارهم إبراهيم في اليوم الثالث، قالت هاجر: يا خليل الله إن ههنا قوماً من جرهم يسألونك أن تاذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا، أفتأذن لهم في ذلك؟ فقال إبراهيم: نعم، فأذنت لهم هاجر، فنزلوا بالقرب منهم، وضربوا خيامهم، فأنست هاجر وإسماعيل بهم، فلما زارهما إبراهيم في المرة الثانية نظر إلى كثرة الناس حولهم، فسرّ بذلك سروراً شديداً^(٢).

تجديد بناء الكعبة المشرفة

مرت الأيام وبلغ إسماعيل مبلغ الرجال، فأمر الله تعالى خليله إبراهيم أن يبني البيت، وقد أرسل

(١) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ١: ٢٨٨.

له جبرئيل ليعرفه موضع القواعد وخطها له، فأخذ إسماعيل ينقل أ حجار البيت من ذي طوى، فجعل له جدراناً أربعة، ورفعها إلى السماء تسعة أذرع^(١)، وجعل له أركاناً أربعة، وسمى الشمالي بالركن العراقي، والغربي بالركن الشامي، والجنوبي بالركن اليماني، والشرقي الذي فيه الحجر بالركن الأسود، وتسمى المسافة التي بين الباب وركن الحجر بالملتزم، لالتزام الطائف إياه في دعائه واستغاثته، وأما الميزاب على الحائط الشمالي يسمى ميزاب الرحمة^(٢).

وقد جعل له بابين، باباً إلى الشرق، وباباً إلى الغرب، والباب الذي إلى الغرب يسمى المستجار، ثم لما فرغ من بنائه حج إبراهيم وإسماعيل^(٣)، ونادي إبراهيم هلم الحج فلبى الناس الموجودون في زمانة ومن كان في اصلاص الرجال كما روى بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما أمر إبراهيم وإسماعيل **(عليهما السلام)** ببناء البيت وتم بناؤه، قعد إبراهيم علي ركن ثم نادي: هلم الحج، فلو نادي هلموا إلي الحج لم يحج إلا من كان يومئذ إنسياً مخلوقاً، ولكنه نادي: هلم الحج، فلبى الناس في اصلاص الرجال: لبيك داعي الله عز وجل لبيك داعي الله، فمن لبي عشراً يحج عشراً، ومن لبي خمساً يحج خمساً، ومن لبي أكثر من ذلك فبعدد ذلك، ومن لبي واحداً حج واحداً، ومن لم يلب لم يحج»^(٤).

منزلة الكعبة عند الامم والاديان

كانت الكعبة مقدسة ومعظمة عند الأمم المختلفة، فكانت الهنود يعظمونها، وكانت الصابئة من الفرس والكلدانيين يعدونها أحد البيوت السبعة المعظمة، وكان الفرس يحترمونها الكعبة أيضاً، وكانت العرب أيضاً تعظمها كل التعظيم، وتعدّها بيتاً لله تعالى، وكانوا يحجون إليها من كل جهة وهم يعدون البيت بناء إبراهيم، والحج من دينه الباقي بينهم بالتوارث ومن الاديان كانت اليهود تعظمها ويعبدون الله فيها على دين إبراهيم، وكانت في الكعبة صورتا العذراء والمسيح، ويشهد ذلك على تعظيم النصارى لأمرها أيضاً^(٥). ولما جاء الاسلام اهتم بالكعبة وطهرها من الاوثان وابعد المشركين عنها ودعى المسلمين الي الحج الخالص الابراهيمي ولذا ينسب حج المسلمين إلى

(١) الميزان في تفسير القرآن ١: ٢٨٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ٣: ٣٦٠.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ١: ٢٨٩.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥، ح ٩.

(٥) الميزان في تفسير القرآن ٣: ٣٦١.

إبراهيم الخليل فيقال الحج الابراهيمي .

الحج في الاسلام

تعتبر عبادة الحج من اهم العبادات الاسلامية . وتذكر بعض النصوص أنها تأتي بالدرجة الثانية بعد الصلاة في الاهمية والافضلية ، وأنه أحد الجهادين . فقد روى الكليني بطريق معتبر عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال : «سمعت أبا عبد الله يقول ويذكر الحج فقال : قال رسول الله ﷺ : هو أحد الجهادين ، هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء . أما إنه ليس شيء أفضل من الحج إلا الصلاة ، وفي الحج ههنا صلاة وليس في الصلاة قبلكم حج»^(١)

كما أن الحج عماد الدين وقوام وجوده ، فقد ورد في الحديث : «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»^(٢) .

ويجب الحج في العمر مرة واحدة على الانسان البالغ المستطيع الذي يملك مصارف السفر ونفقاته ، ويرجع إلى أهله مع وجود ما يكفيهم دون أن يؤدي ذلك إلى اضطراب في حياته المعيشية أو حرج في أوضاعه الشخصية . ولكن في الوقت نفسه يستحب للانسان استحباباً مؤكداً تكراره ، فهو أفضل من كثير من العبادات^(٣) .

ولا يجوز تعطيل الكعبة والحج ، ويجب على ولي أمر المسلمين الزام المسلمين أن يقوموا بأداء هذا الواجب والانفاق عليه إذا لم يتحقق ذلك بشكل اعتيادي .^٤

امتيازات الحج على سائر العبادات^٥

الميزة الاولى : أن هذه العبادة تشتمل على عدة انواع من العبادات كالصلاة والصوم والجهاد والزكاة ، فالطواف بالبيت صلاة بالاضافة إلى وجود صلاة الطواف ، والاحرام مع محرّماته نوع من الصوم والامسك عن الطيبات والشهوات ، والانفاق والهدي نوع من الزكاة ، والمشقة والسفر والاعمال

(١) وسائل الشيعة ٨ : ٧٧ ، ح ٢ .

(٢) وسائل الشيعة ٨ : ١٤ ، ح ٥ .

(٣) راجع جامع أحاديث الشيعة ١٠ : أبواب فضائل الحج .

(٤) دور اهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة ج ٢

(٥) دور اهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة ج ٢

المضنية نوع من الجهاد ، مضافاً إلى العبادات الاخرى كالوقوف والرمي والحلق فإنها ذات طبيعة مميزة لا نظير لها في العبادات الاخرى .

الميزة الثانية : الممارسة الجماعية الواسعة لهذه العبادة ، حيث يأتي المسلمون الحجاج من طبقات الامة كلها ، ومن كل فج عميق ، ليؤدّوا هذه الفريضة في ايام معلومات بشكل جماعي ، ويلبوا فيها النداء الالهي الذي اطلقه إبراهيم **(عليه السلام)** ، يتحركون به على صعيد واحد وبشكل واحد يعبر عن المساواة الحقيقية بين بني البشر ، ويحقق الوحدة الكاملة للامة بشكل عملي .

الميزة الثالثة : تنوع الاهداف المنشودة من هذه العبادة ، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، أو في جانبها المادي والروحي ، أو في ابعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والاخلاقية . وشرح ذلك وإن كان يحتاج إلى حديث واسع ، ولكن يحسن بنا أن نشير فيه إلى نص رواه الشيخ الصدوق عن الامام الرضا **عليه السلام** الذي تناول بعض الابعاد المعنوية والمنافع الدنيوية ، وكذلك الاهداف المقدسة التي استهدفتها هذه العبادة الجماعية .

روى الصدوق ، عن الفضل بن شاذان (في حديث العلل التي سمعها من الرضا **عليه السلام** قال : «فإن قال فلم امر بالحج ؟ قيل : لعله الوفادة إلى الله عزوجل وطلب الزيادة ، والخروج من كل ما اقترب العبد تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل ، مع ما فيه من اخراج الاموال وتعب الابدان والاشتغال عن الاهل والولد وحظر النفس عن اللذات ، شاخصاً في الحر والبرد ثابتاً ذلك عليه دائماً ، مع الخضوع والاستكانة والتذلل ، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع..... ، من في البر والبحر ممن يحج وممن لم يحج من بين تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين ومكار وفقير ، وقضاء حوائج أهل الاطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها ، مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الائمة **(عليهم السلام)** إلى كل صقع وناحية ..»^(١) .

وهناك تفاصيل كثيرة ترتبط بموضوع الحج تناولها الفقهاء في كتاب الحج والرسائل العملية الخاصة به المسماة (مناسك الحج) لا يتناسب ذكرها مع عنوان الكتاب .

(٢)

ولادة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام^١

(١ / ذي القعدة / السنة ١٧٣هـ)

ولدت فاطمة المعصومة عليها السلام في المدينة المنورة في الأول من ذي القعدة سنة (١٧٣هـ)، أبوها الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وأمها تسمى خيزران وتكتم ونجمة، وتكنى بأم البنين ، فهي أخت الإمام الرضا عليه السلام من الأبوين .

كانت فاطمة عليها السلام من أعظم نساء زمانها علماً وعملاً وعبادة وتقوى وأخلاقاً وفضلاً وتحملاً للمحن والمصائب، فقد فقدت عليها السلام أباهما وهي في العاشرة من عمرها، وفارقت أخاها الرضا عليه السلام بعد ذلك بمدة وجيزة، كما عاصرت قتل إخوانها الذين ثاروا في بقاع الأرض لدفع الظلم عن الناس منهم السيد احمد المعروف والمشهور عند الإيرانيين بشاه جراغ وهو مع جمع من اخوته مدفونين في مدينة شيراز مركز محافظة فارس .

لقبت فاطمة عليها السلام بألقاب عظيمة منها كريمة أهل البيت عليهم السلام، وفاطمة الثانية، وذلك لشدة شبهها بجدها فاطمة الزهراء عليها السلام .

كما لقبت بالمحدثة لكثرة علمها، ومن أشهر ألقابها (المعصومة)، لإيمانها العميق وشدة ارتباطها بربها ولعظيم تقواها .

وامتازت السيدة المعصومة عليها السلام بعلمها الواسع، وكانت من المحدثات التي روت عن أبيها وأخيها، كما كانت تجيب على استفتاءات الناس في غيابهما، حيث روي أنه أتى جمع من الشيعة إلى المدينة لكي يعرضوا بعض أسئلتهم على الإمام الكاظم عليه السلام، غير أنه عليه السلام وولده الإمام

(١) نقلنا مطالب هذا العنوان عن كتاب لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام وأخته السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام .

الرضا عليه السلام لم يكونا حاضرين في المدينة، فاعتم الجميع وكتبوا أسئلتهم وأودعوها في بيت الإمام، بنية أن يحصلوا على جوابها في سفرهم القادم، وعزموا على الرجوع إلى حيث جاؤوا، وإذا بأجوبة أسئلتهم تأتي من قبل السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، وعندئذٍ تبدل حزنهم بفرح، ورجعوا إلى بلدتهم، وفي طريقهم التقوا بالإمام موسى الكاظم عليه السلام فأخبروه بما جرى، فنظر الإمام عليه السلام إلى أجوبة ابنته فقال: (فداها أبوها) ^(١).

كما أنه بعد وفاة أبيها، وسفر أخيها الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان كانت المرجع الديني للناس في المدينة وبقيت على هذه الحال ردحاً من الزمان، غير أنها ولشدة تعلقها بأخيها الرضا عليه السلام، حيث كانت تحبه حباً جماً، وكان عزيزها الذي كانت تشعر بالأمن والراحة إلى جواره، قررت عليها السلام أن تلتحق بالإمام عليه السلام في خراسان فتجهزت مع بعض إخوة الإمام وأبناء إخوته ^(٢).

خرج في قافلة السيدة المعصومة عليها السلام خمسة من إختها وهم: فضل وجعفر وهارون وقاسم وزيد، ومعهم بعض أبناء إخوة السيدة المعصومة، وعدة من العبيد والجواري، وتحركت قافلة عشاق الإمام الرضا عليه السلام من المدينة المنورة قاصدين ديار الحبيب مرو في سنة ٢٠١ هـ، ومرت الأيام والليالي والقافلة خلّفت صحراء الحجاز وراءها، ومع أنّ قطع هذا الطريق القويح والبعيد كان شاقاً على شابة مثل السيدة فاطمة ولكن شدة الشوق وأمل اللقاء بأخيها الرضا عليه السلام سهّل عليها صعوبة الطريق وعناء السفر، وأخيراً وصلت القافلة إلى إيران، وفي مدينة ساوة مرضت السيدة المعصومة عليها السلام مرضاً شديداً إثر مطاعب السفر ^(٣) بحيث لم تقدر على مواصلة السير، فسألت عن المسافة بين المكان الذي هي فيه وبين بلدة قم التي تضم الكثير من وجوه الشيعة، فقيل لها المسافة عشرة فراسخ ^(٤) وقد سمعت المعصومة عن آبائها من الأحاديث في فضل قم وأهلها مما جعلها تختار هذه البلدة للقدوم إليها، فقالت عليها السلام: «احملوني إلي قم» فحملت، ولما أشرفت على قم مرّ بظعيتها راكب، فسأل: لمن هذه الظعينة؟ فقيل له: هي لفاطمة بنت موسى بن جعفر، وهي وافدة من الحجاز للقاء أخيها أبي الحسن الرضا عليه السلام. فأقبل ذلك الرجل إلى مجلس موسى بن الخزرج الأشعري — وهو من وجوه الشيعة في قم آنذاك وزعيم الأشعريين — وكان حاشداً بالناس، فقال الرجل

(١) بحار الأنوار: ٩٩ كتاب المزار.

(٢) ترجمة تاريخ قم: ٢١٣.

(٣) وقيل مرضت من أثر السم الذي دُس إليها في ساوة من قبل أعوان بني العباس.

(٤) أي: ٥٥ كم تقريباً.

وهو باك: «يا موسى، لقد حلّ الشرف في بلدكم، ونزلت الخيرات والبركات بساحتكم»، فقال موسى: «لا زلت مبشراً بخير ما الذي جرى؟»، قال: «ظعينة أخت الرضا عليه السلام مقبلة على قم».

فلما سمع موسى بكى فرحاً وخرج من قم مع أصحابه وجمع كثير من الناس لاستقبالها، فلما وصل موسى إلى ظعينة السيدة فاطمة عليها السلام تناول يد القائد لناقتها فقبلها، وطلب منه أن يسلمه زمام الناقة ليقودها بيده وليتشرف بذلك، فسلم إليه زمام الناقة فقادها موسى بيده حتى أنزل السيدة فاطمة عليها السلام بيته، وكان ذلك في ٢٣ ربيع الأول سنة ٢٠١ للهجرة^(١).

بقيت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في بيت موسى بن خزرج^(٢) سبعة عشر يوماً معززة مكرمة، ثم توفيت في اليوم العاشر من ربيع الثاني سنة ٢٠١ هـ^(٣)، قبل أن تحظى بروية أخيها الإمام الرضا عليه السلام وتقرّ عينها به.

وفجع أهالي قم بتلك المصيبة وحزنوا حزناً شديداً، وتولّت النساء تغسيلها وتكفينها، ثم صلّى عليها موسى في حشد كبير من شيعة أهل البيت عليهم السلام في قم، وبعد التشييع رأى زعماء الأشعريين أن يُدفن الجسد الطاهر في مكان مناسب غير المقبرة العامة، فخصّص موسى بن خزرج بستاناً كبيراً له في منطقة يقال لها: «باغ بابلان» عند نهر قم^(٤) لدفن السيدة المعصومة عليها السلام، وبعد الدفن أقام الشيعة مأتم الحزن على السيدة المعصومة، وبنى أهل قم كوخاً على مرقدها، وبعد مضيّ خمسين سنة وباهتمام السيدة زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام بُنيت أول قبّة على قبر السيدة المعصومة عليها السلام، ثم جدّد بناء الحرم المطهر من قبل محبّي وشيعة أهل البيت، وتوسّع حتى أصبح بالشكل الذي هو عليه الآن: زاهراً كأنه جوهرة وسط مدينة قم.

وأصبح هذا المكان والمقام المقدّس يقصد من مختلف نقاط إيران والعالم لزيارة هذه السيدة العلوية الجليلة إظهاراً للمحبّة الخالصة للنبي ولأهل بيته عليهم السلام.

(١) ترجمة تاريخ قم: ٢١٣.

(٢) عرف واشتهر هذا البيت بعد ذلك بـ (بيت النور) ويقع في ميدان مير في شارع عمار بن ياسر.

(٣) وقيل توفيت عليها السلام في الثاني عشر من ربيع الثاني.

(٤) وهو مزارها الفعلي المشيد. ثم إنّ موسى بن خزرج أوقف البستان على المسلمين كي يُدفن فيه الشيعة المواليون حول المرقد الشريف.

وقد رأى زوارها الكرامات العديدة منها منذ دفنها إلى يومنا هذا وقد جاء في فضل زيارتها واجر زوارها إنَّ ثمن وأجر زيارة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام هو الجنة، وقد بشر ثلاثة من المعصومين عليهم السلام زوارها بذلك.

قال جدُّها الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ لِلَّهِ حَرَمًا وَهُوَ مَكَّةُ، وَلِرَسُولِهِ حَرَمًا وَهُوَ الْمَدِينَةُ، وَالْأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَرَمًا وَهُوَ الْكُوفَةُ، وَلَنَا حَرَمًا وَهُوَ قُمْ، وَسْتُدْفَنُ امْرَأَةٌ مِنْ وَلَدِي تُسَمَّى فَاطِمَةَ، مَنْ زَارَهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(١).

وورد عن أخيها الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «مَنْ زَارَهَا عَارِفًا بِحَقِّهَا فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(٢)، وقال عليه السلام: «مَنْ زَارَ الْمَعْصُومَةَ بِقَمِّ كَمَنْ زَارَنِي» وورد عن ابن أخيها الإمام الجواد عليه السلام: «مَنْ زَارَ عَمَّتِي بِقَمِّ فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(٣).

(١) تاريخ قم ، وعنه في بحار الأنوار ج ٩٩ ، كتاب المزار.

(٢) بحار الأنوار ١٠٢ : ٢٦٥

(٣) بحار الأنوار ١٠٢ : ٧ ، ٢٦٦

(٣)

النبي ﷺ و صلح الحديبية

(٢ - ذى القعدة / السنة ٦ هـ)

روي القمي في تفسيره بسنده عن الامام الصادق عليه السلام: إن الله عز وجل، أرى رسول الله ﷺ في النوم أنه دخل بأصحابه المسجد الحرام مع الداخلين، وطاف مع الطائفين وحلق مع المحلقين، وكان ذلك أمراً له بذلك فاخبر أصحابه بذلك وامرهم بالخروج فخرجوا^(١).

قال الواقدي: واغتسل رسول الله ﷺ في بيته ولبس ثوبين هما أصلاً من نسج حمّار (وهي بلدة في عمان)^(٢)، وركب راحلته القصواء من عند بابه وخرج من المدينة يوم الاثنين لهلال ذي القعدة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فلما نزل ذي الحليفة وكان قد ساق رسول الله ﷺ ستاً وستين بدنه^(٣) فأحرم بالعمرة وأشعرها عند إحرامه، وأحرم المسلمون ملبين بالعمرة مشعرين وقال ابن إسحاق: وإنما ساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً للبيت ومعظماً له فيأمن الناس من حربه (٣: ٣٢٢).^٤

وكان رسول الله في طريقه يستنفر الأعراب، فلم يتبعه أحد منهم، وكانوا يقولون: أيطمع محمد

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢ : ٥٩٩.

(٢) النهاية ٢ : ٢٥٣.

(٣) إعلام الوري ١ : ٢٠٣.

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢ : ٦٠٠.

وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عقر دارهم فقتلوهم؟ إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبداً^(١).

وروى المفيد في الإرشاد: «نزل رسول الله ﷺ في منزل الجحفة فلم يجد بها ماءً، فبعث سعد بن ملك (أبي وقاص الزهري) بالروايا، حتى إذا كان غير بعيد، رجع وقال يا رسول الله ما أستطيع أن أمضي، لقد وقفت قدماي رعباً من القوم!

وهكذا حصل مع رجلين آخرين. فبعث علي بن أبي طالب ﷺ، فخرج علي بالروايا حتى ورد الحزار فاستقى ثم أقبل بها إلى النبي ﷺ فكبر النبي ﷺ ودعا له بخير^(٢).

بيعة الرضوان: قال الطبرسي: قال رسول الله ﷺ إن الله أمرني بالبيعة. فبايعه الناس تحت الشجرة على أن لا يفروا عنه أبداً^(٣).

وبعثت قريش سهيل بن عمرو العامري، وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ للصلح.، وعندما وصل سهيل بن عمرو وحويطب إلى رسول الله ﷺ قالوا: إن قومك يناشدونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنههم وتقطع أرحامهم وتجري عليهم عدوهم، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يدخلها^(٤).

وفي خبر القمي في تفسيره بسنده عنه ﷺ: فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك وقالوا له: «وترد إلينا كل من جاءك من رجالنا، ونرد إليك كل من جاءنا من رجالك؟ فقال رسول الله ﷺ: من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه، ولكن: على أن المسلمين بمكة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام، ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام فقبلوا ذلك، ورجع سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم بالصلح^(٥).

بنود صلح الحديبية:

«محمد بن عبد الله والملا من قريش وسهيل بن عمرو، اصطلحوا على:

وضع الحرب بينهم عشر سنين على أن يكف بعض عن بعض، وعلى أنه لا اسلال ولا إغلال،

(١) تفسير القمي ٢ : ٣١.

(٢) الإرشاد ١ : ١٢١ - ١٢٢.

(٣) إلام الورى ١ : ٢٠٤.

(٤) روضة الكافي : ٢٦٨.

(٥) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢ : ٦٢٤.

وان وبينهم غيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأن من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليه يردوه إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه إليه.

وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة، لا يكره أحد على دينه ولا يؤذى ولا يعير، وأن محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه، ثم يدخل في العام القابل مكة فيقيم فيها ثلاثة أيام ولا يدخل عليها بسلاح إلا سلاح الراكب أو سلاح المسافر: والسيوف في القراب»^(١).

هناك ملاحظة مهمة في صلح الحديبية، وهي أن المشركين رفضوا أن يذكر اسم محمد ﷺ مقروناً بالرسالة وكان الكاتب هو أمير المؤمنين عليّ ﷺ، فتردد في الإستجابة لسهيل بن عمر، ولكن الرسول أمر أن يستجيب وقال: ستدعى لمثلها وتجب، إخباراً بالغيب عما سيؤول إليه حال الإمام مع معاوية في مؤامرة رفع المصاحف في حرب صفين.

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢ : ٦٢٩.

(٤)

ولادة الإمام الرضا عليه السلام^(١)

(١١ / ذي القعدة / السنة ١٤٨ هـ)

الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام^(٢) ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولد في المدينة المنورة في الحادي عشر من ذي القعدة سنة (١٤٨ هـ)، أبوه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وأمه خيزران، وقيل نجمة، وتكنى بأُم البنين، وقيل غير ذلك، استشهد عليه السلام بطوس متأثراً بسَم دسه إليه المأمون في نهاية صفر سنة (٢٠٣ هـ) على المشهور، أو في السابع عشر منه كما في خبر آخر، وقضى أكثر عمره في مدينة جده، إلى أن استدعاه المأمون سنة (٢٠٠ هـ) إلى خراسان، ليكون ولياً للعهد وخليفة من بعده، فعاش فيها ثلاث سنوات من عمره الشريف، إلى أن توفي ودفن فيها، ولم يترك الإمام عليه السلام إلا ولداً واحداً هو الإمام الجواد عليه السلام، بناءً على (الإرشاد) للشيخ المفيد وله أربع بنون وبنات واحدة على رواية (كشف الغمة) للأربلي.

إمامة الإمام الرضا عليه السلام:

قام الإمام الرضا عليه السلام بعد أبيه بإمامة المسلمين عشرين سنة، قال الشيخ المفيد رحمته الله: كان الإمام بعد موسى بن جعفر: «ابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام فضله على جماعة إخوته وأهل بيته وظهور علمه وحلمه، وورعه، واجتماع الخاصة والعامة على ذلك منه، ومعرفتهم به، ولنص أبيه عليه السلام على إمامته من بعده وأشار إليه بذلك دون إخوته وأهل بيته»^(٣)، وبالإضافة إلى النصوص العامة على إمامة الأئمة الاثني عشر من النبي صلَّى الله عليه وآله، فلقد كان كل إمام ينص على الإمام من بعده ويؤيِّنه للمسلمين

(١) نقلنا المطالب عن كتاب لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام وأخته السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

(٢) ورد عن الإمام الجواد عليه السلام في وجه تسميته بهذا اللقب انه: «رضى به المخالف من أعدائه كما رضى به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه السلام (عيون أخبار الرضا ١: ١٣) ويقال إن المأمون هو الذي لقب الإمام بهذا اللقب.

(٣) الإرشاد: ٣٠٤

وشيعته، حتى لا يدعى الإمامة أحد من بعده.

من خصائص الإمام الرضا عليه السلام:

لا بد وأن يكون الإمام المعصوم، جامعاً لجميع العلوم والمعارف الإلهية والطبيعية، والفضائل والمكارم الأخلاقية، ليكون مناراً يهتدى به، وأسوة لجميع الناس يقتدى به، لأنه حجة الله في أرضه على خلقه، ويجب أن يكون في جميع هذه الخصائص والصفات أعلى من غيره لتتم الحجة.

والإمام الرضا عليه السلام كجده المصطفى صلى الله عليه وآله وأبائه الأئمة البررة، قد اتصف بجميع تلك الخصال والصفات الحميدة، ولم تكن صفة يسمو بها الإنسان نحو الكمال إلا وهي موجودة فيه.

أما أخلاقه؛ فيقول إبراهيم بن العباس الصولي: «ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفاً أحداً بكلمة قط، ولا رأيت قطعه على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردَّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدَّ رجله بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيت شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيت تفل قط، ولا رأيت يقهقه في ضحكته قط، بل كان ضحكه التبسم، وكان إذا خلا ونصب مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه ومواليه، وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر، وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السر، وأكثر ذلك منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه»^(١).

وأما علمه: فقد أحاط الإمام بجميع العلوم، وكان أعلم أهل زمانه، وذلك مما اشتهر وهو الشيء البارز في شخصية الإمام عليه السلام لا يستطيع أن ينكره أحد، وقد لقب بعالم آل محمد، وقد اعترف المأمون بنفسه أكثر من مرة، وهو من العلماء البارزين، وفي مناسبات عديدة أن الإمام الرضا عليه السلام أعلم أهل الأرض.

ومن مظاهر علم الإمام ومعرفته التامة؛ إخباره عن كثير من الملاحم والأحداث قبل وقوعها، ومن جملة ما أخبر يحل بهم، وقتل الأمين على يد أخيه المأمون، وقتل المأمون له، وقد تحقق كل ما أخبر به.

ومن مظاهر علم الإمام عليه السلام مناظراته في البصرة، والكوفة وخراسان مع علماء اليهود والنصارى، والمسلمين، والتي اعترف له فيها جميع هؤلاء العلماء بالفضل والعلم والتفوق عليهم^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٨٠.

(٢) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٨٠ وبحار الأنوار ٤٩: ٩٥.

أقوال علماء أهل السنة في الرضا عليه السلام:

قال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، معلقاً على سند فيه الإمام الرضا عليه السلام: «لو قرئت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنونه»^(١).

وجاء في كتاب (الثقات) لابن حبان (ت: ٣٥٤هـ): «وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبي الحسن، من سادات أهل البيت وعقلائهم، وجملة الهاشميين ونبلائهم.. ومات علي بن موسى الرضا بطوس من شربة سقاه إياها المأمون فمات من ساعته..»

وقبره بسناباد خارج النوقان مشهور يزار، قرب قبر الرشيد، قد زرته مراراً كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء جرّبته مراراً فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين»^(٢).

وهكذا مدح عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت: ٥٦٢هـ) الامام الرضا عليه السلام فقال في الأنساب: «والرضا كان من أهل العلم والفضل مع شرف النسب»^(٣).

وقال الفخر الرازي (ت: ٦٠٤هـ) عند تفسيره الكوثر: «والقول الثالث في الكوثر، أولاده: فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم على مر الزمان، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا..»^(٤).

دعبل الخزاعي عند الامام الرضا(ع)

جاء في رواية أبي الصلت الهروي^(٥) أنه قال: دخل دعبل الخزاعي على الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مدينة مرو بعد بيعة الناس له بولاية العهد، فقال: يا بن رسول الله، إنني قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال له الإمام الرضا عليه السلام: هاتها يا دعبل، فأنشد دعبل:

(١) أورده ابن حجر في صواعقه المحرقة: ٣١٠.

(٢) الثقات ٨: ٤٥٦.

(٣) الانساب ٣: ٧٤.

(٤) تفسير الرازي ١٦: ١٢٥/٣٢.

(٥) هو من خيرة أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وقد توفي في طوس ودفن فيها وله مقام في ضواحي مشهد المقدس يقصده الزوار.

ذكرتُ محلَّ الرَّبِّعِ^(١) من
 عَرَفَاتِ
 مَدَارِسُ آيَاتِ خَلَّتْ مِنْ
 تَلَاوَةِ
 دِيَارِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ
 مَنَازِلُ كَانَتْ لِلصَّلَاةِ وَلِلتَّقَى
 فَأَجْرِيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْعَبْرَاتِ
 وَمَنْزِلُ وَحْيِي مُقْفَرٌ
 الْعَرَصَاتِ^(٢)
 وَحَمْزَةُ وَالسَّجَادِ ذِي
 الثَّفَنَاتِ^(٣)
 وَلِلصُّومِ وَالتَّطَهِيرِ وَالحَسَنَاتِ
 أَفَاطِمُ لَوْ خَلَّتِ الحُسَيْنَ
 مُجَدِّلاً
 إِذْ لِلطَّمَتِ الخَدَّ فَاطِمُ عِنْدَهُ
 أَفَاطِمُ قُومِي يَا ابْنَةَ الخَيْرِ
 وَأَنْـدُوبِي
 قُبُورٌ بِكُوفَانٍ وَأُخْرَى بِطَيْبَةِ
 وَقَبْرٌ بِأَرْضِ الجُوزْجَانِ^(٤)
 مَحَلُّهُ
 قُبُورٌ بِجَنْبِ النُّهْرِ مِنْ أَرْضِ
 كَرْبَلَا
 تُوفُوا عَطَاشِي بِالْعِرَاءِ فَلَيْتَنِي
 وَقَبْرٌ بِبَغْدَادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ

(١) الربيع : موضع في عرفات ، يتوقف به ويطمأن.

(٢) العرصات : الساحات.

(٣) الثفنات : علامات في الجبهة من كثرة السجود.

(٤) هناك مدينتان باسم الجوزجان : احدها في شمال إيران ، والأخرى في أفغانستان ، وفي كليهما يوجد قبر ومقام ليحيى بن زيد الشهيد الذي قطع رأسه ، ولعل في احدهما رأس يحيى وفي الأخرى جسده الشريف.

(٥) فخ : موقع بمكة وقعت فيه حادثة فخ حيث استشهد جمع من بني هاشم على يدي أعوان بني العباس.

(٦) باخمري : مكان بين الكوفة والواسط في العراق ، فيه قبر القاسم أخو الإمام الرضا عليه السلام.

(٧) الغرفات : غرف الجنة.

ولما وصل دعبل إلى هذا البيت من القصيدة، قال له الإمام الرضا عليه السلام:
«أفلا ألحق لك بيتين بهذا الموضع، بهما تمام قصيدتك؟»، فقال: بلى يا بن رسول الله، فقال
الإمام الرضا عليه السلام:

أَلَحَّتْ عَلَيَّ الْأَحْشَاءُ	وَقَبْرُ بَطُوسٍ ^(١) يَا لَهَا مِنْ
بِالزُّفْرَاتِ ^(٢)	مُصِيبَةٍ
يُفْرَجُ عَنَّا الْغَمَّ وَالْكَرْبَاتِ	إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ
	قَائِمًا

فقال دعبل: هذا القبر الذي بطوس قبر من؟ قال الإمام الرضا عليه السلام:
«هُوَ قَبْرِي، وَلَا تَنْقُضِي الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي حَتَّى تَصِيرَ طُوسٌ مُخْتَلَفَ شِيعَتِي وَزُؤَارِي، أَلَا فَمَنْ
زَارَنِي فِي غُرْبَتِي بِطُوسٍ كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفُورًا لَهُ»^(٣).

(١) دُفِنَ الْإِمَامُ عليه السلام فِي قَرْيَةِ سَنَابَادِ نَوْقَانَ مِنْ قَرْيَةِ طُوسٍ، وَقَدْ عُرِفَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَشْهَدٍ لِشَهَادَةِ الْإِمَامِ فِيهَا وَطُوسٌ هِيَ مِنْ مَدَنِ مَحَافِظَةِ خُرَاسَانَ الْقَدِيمِ وَتَقَعُ حَالِيًا قَرِبَ مَشْهَدٍ، وَفِيهَا قَبْرُ الشَّاعِرِ الْإِيرَانِيِّ الْمَعْرُوفِ الْحَكِيمِ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَرْدُوسِيِّ.
(٢) الزُّفْرَاتُ: تَتَابَعُ الْأَنْفَاسَ مِنْ شِدَّةِ الْغَمِّ وَالْحُزَنِ.
(٣) عَيُونَ أَخْبَارِ الرِّضَا عليه السلام ٢: ٢٩٥.

(٥)

غزوة بني قريظة

(٢٢ / ذي القعدة / السنة ٥ هـ)

لما قدم رسول الله ﷺ في السنة الأولى من هجرته إلى المدينة، كان من أول ما أقدم على فعله عقد ميثاق تعايش بين سكان المدينة وما حولها، ذلك لأجل إنهاء جميع أشكال الاختلاف والتنازع والصراع الداخلي، وتوحيد المدينة سياسياً وعسكرياً.

فأقام ميثاقاً بين الأوس والخزرج، وبين أهل المدينة واليهود من بني النضير، وقينقاع وقريظة في أن يعيشوا جميعاً بأمان، وأن يدافعوا عن المدينة وما حولها.

هذا ما كان بين رسول الله ﷺ وبين الطوائف الثلاثة من اليهود القاطنين حول المدينة، ولكن اليهود - جرياً على عاداتهم في نقض العهود والمواثيق والإفساد في الأرض - لم يراعوا لرسول الله ﷺ عهداً ولا ذمة، فأقدم بنو قينقاع على قتل مسلم ظلماً وعدواناً، كما أن بني النضير خططوا لاغتيال رسول الله ﷺ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن أجلاهم عن المدينة، وإنما ذلك نزولاً عند رغبة الخزرج وبخاصة عبد الله بن أبي^(١) بشأن بني النضير. وإلا فكان له الحق في قتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم، عملاً بالعهد والميثاق الذي أبرمه معهم، وأما بنو قريظة فقد تعاونوا مع الأحزاب في وقعة الخندق للقضاء على النبي والمسلمين، فلما انهزم الأحزاب وغادرت آخر مجموعة من جيوشهم أرض المدينة خائفة ذعرة، وبعد هذا نادى منادي رسول الله ﷺ لصلاة الظهر، وبعد أن صلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الظهر، نادى منادياً على لسان النبي ﷺ: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة.

فعقد النبي ﷺ رأيته لعلي عليه السلام وخرج ومعه الجيش، فوصلت الأنباء إلى بني قريظة بتحرك

(١) المغازي للواقدي ١ : ١٧٧.

النبي ﷺ إليهم فبادروا إلى إغلاق أبواب الحصون والتحصن في داخلها، فوصل المسلمون وحاصروا الحصون، ونشبت بينهما في اللحظات الأولى الحرب.

غير أن المسلمين حاصروا حصونهم ومنعوا من دخول المعونات عليهم، وبقي الأمر على هذه الشاكلة قرابة ١٥ يوماً.

فاشتد الحصار عليهم وقد اجبروا على الاتفاق على واحدة مما يلي لمعالجة الموقف، وهي:

١- أن يؤمنوا برسول الله، ويصدقونه؛ لأنه قد تبين لهم أنه نبيٌ مرسل، وأنه ﷺ الذي يجدونه في كتابهم، وبذلك يأمنون على دمائهم وأموالهم ونسائهم، وأبنائهم.

٢- أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم، ثم يخرجوا إلى محمد وأصحابه يقاتلونهم، فإذا هلكوا لم يتركوا وراءهم نساءً ولا نسلًا يخشى عليهم، وإن انتصروا تزوجوا من جديد، ووجدوا أبناءً لهم ونساءً.

٣- أن الليلة هي ليلة السبت، وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد منّاهم فيها، لعلمهم بأن اليهود لا يقاتلون في السبت، فليزلوا من الحصون لعلمهم يصيبون من محمد وأصحابه على غفلة^(١).

واستمرت المحاصرة أياماً فطلبوا ان يبعث إليهم النبي ﷺ أبا لبابة الأوسي ليتشاوروا معه في الموقف، وقد كان حليفاً لهم قبل دخوله الإسلام، فأرسله ﷺ إليهم، فلما رآه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟

فقال لهم: نعم وأشار بيده إلى حلقه، يريد أنهم سوف يقتلون، وأن النبي ﷺ لن يحقن دماءهم لو سلّموا إليه.

أدرك أبو لبابة أنه خان بفعله هذا المسلمين، ومصالح الإسلام العليا، وافشى سراً كان عليه أن يكتبه قبل وقوعه، وقد نزل في خيانتته قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، فندم أبو لبابة ندماً شديداً، فخرج من حصن بني قريظة وهو يرتجف ويقول: إنني خنت الله ورسوله، وانطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ مع أنه ﷺ كان ينتظر رجوعه إليه - فربط نفسه في المسجد بعمود من أعمدته، وقال لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ ما صنعت، فبلغ النبي ﷺ خبره فقال ﷺ: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.^(٣)

(١) السيرة النبوية ٢: ٢٣٦.

(٢) الأنفال: الآية ٢٧.

(٣) السيرة النبوية ٢: ٢٣٦.

وبقي أبو لبابة مرتبطاً بالعمود، وكانت زوجته أو ابنته تأتيه في مواعيد الصلاة، وتحل رباطه، فيصلّي ثم تعيد الرباط، فما مضى سبعة أيام حتى نزلت توبته في سحرها، قال تعالى: ﴿وَأَخْرُوتُ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَخْرَسَيْنَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وقد حاول بنو قريظة ان يفاوضوا النبي ﷺ حتى وصلوا إلى ان يدفعوا إليه ما يملكون ويتركون حصونها ويخرجون، كما فعل ﷺ ببني النضير وقينقاع، غير أن النبي ﷺ أجاب: لا، إلا أن تنزلوا على حكمي.

وفعلًا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ففتحوا الحصون، ودخل علي ﷺ في كتيبة خاصة من المسلمين، وجرّدوا بني قريظة من السلاح وحبسوهم في منازل بني النجار ليقدر النبي ﷺ مصيرهم. فجاء الأوسيون الذين كانوا متحالفين مع بني قريظة إلى رسول الله ﷺ وأخذوا يستميلون النبي ﷺ عن قتلهم وأصروا عليه إصراراً شديداً بأن يعفوا عنهم، وذلك منافسة للخزرج حيث تشفعوا من قبل في بني قينقاع الذين كانوا متحالفين معهم، فأجابهم النبي ﷺ:

ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟
فقالوا: بلى.

قال ﷺ: فذاك إلى سعد بن معاذ فهو يحكم فيهم.

والطريف في الأمر أن بني قريظة رضوا أيضاً بحكم سعد، حيث بعثوا إليه ﷺ: يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ.^(٢)

وجاء سعد لينفذ حكمه وكان جريحاً، فحكم بأن يقتل رجال بني قريظة، وتقسّم أموالهم وتسبى ذراريهم ونسأوهم^(٣).

(١) التوبة: الآية ١٠٢.

(٢) الإرشاد: ٥٠.

(٣) السيرة النبوية ٢: ٢٤٠.

(٦)

يوم دحو الأرض

(٢٥/ ذي القعدة/ قبل التاريخ)

أن الله تعالى أول ما خلق الأرض خلقها من الماء، والظاهر أنه كان ذلك بعد خلق السماء، ويشعر بذلك الآيات التي تقدم ذكر السماء على الأرض عند استعراض خلق الله تعالى، ولقد خلق الله تعالى الكعبة الشريفة قبل دحو الأرض بألفي عام على ما أخبر به الإمام الصادق عليه السلام: حيث قال عليه السلام: «وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في اتيانه فحثهم علي تعظيمه وزيارته وجعله محل أنبيائه، وقبله للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلي غفرانه، منصوب علي استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام..^(١)، ثم بسط الأرض على الماء وبدأ البسط من تحت الكعبة المشرفة، إذن فمعنى الدحو الانبساط، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا × أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾^(٢)، أي بسطها، وهذا اليوم هو أحد الأيام الأربعة التي خصت بالصيام بين أيام السنة وروي أن صيامه، يعدل صيام سبعين سنة، وهو كفارة لذنوب سبعين سنة^(٣).

وفي فضل هذا اليوم ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أول رحمة نزلت من السماء إلي الأرض في خمس وعشرين من ذى القعدة، ومن صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة فله عبادة مئة سنة، صام نهارها وقام ليلاً»^(٤).

(١) بحار الأنوار ٢: ٣٣ ح ٧.

(٢) النزاعات: الآيتين ٣٠ - ٣١.

(٣) مفاتيح الجنان: اعمال شهر ذي القعدة.

(٤) إقبال الاعمال، أعمال شهر ذي القعدة.

(٧)

خروج النبي ﷺ من المدينة للحج

(٢٦ / ذي القعدة / السنة ١٠ هـ)

في أواخر السنة العاشرة للهجرة قرر النبي ﷺ أن يسير إلى حج بيت الله الحرام في مكة المكرمة، فأمر مناديه أن ينادي في المدينة وبين القبائل بأن رسول الله ﷺ يقصد مكة للحج هذا العام، فأحدث ذلك شوقاً وابتهاجاً عظيمين في نفوس جمع كبير من المسلمين، فتهيأت أعداد كبيرة لمرافقة رسول الله ﷺ، وضربت مضارب وخيم كثيرة خارج المدينة المنورة بانتظار حركة النبي ﷺ وتوجهه إلى مكة^(١).

وفي مطلع اليوم السادس والعشرين من شهر ذي القعدة خرج رسول الله ﷺ من المدينة متوجهاً إلى مكة، وقد استخلف مكانه في المدينة أبا دجانة الأنصاري، وقد ساق معه ما يزيد عن ستين بدنة، وعندما بلغ الموكب ذي الحليفة - وهي نقطة فيها مسجد الشجرة - أحرم بلبس قطعتين عاديتين من القماش الأبيض من مسجد الشجرة، ثم أحرم ولبى بقوله: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك..».

وهذه التلبية هي في الحقيقية تلبية لنداء إبراهيم الخليل، كما أنه ﷺ كان يكرر هذه التلبية كلما شاهد ركباً، أو علا مرتفعاً من الأرض، أو هبط وادياً، ولم يقطع تلبيته حتى شارف مكة في الثالث من ذي الحجة وسيأتي تفصيل ذلك في مناسبات شهر ذي الحجة في قضية حجة الوداع^(٢).

(١) سرية الحلبية ٣ : ٣٨٩.

(٢) المناسبات النبوية، ادوار ومواقف .

(٨)

شهادة الإمام محمد الجواد عليه السلام

(آخر ذي القعدة/ السنة ٢٢٠ هـ)

الإمام التاسع من أئمة أهل البيت عليه السلام المطهرين المعصومين؛ هو الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وأمه سبيكة من أهل بيت مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولادته كانت في المدينة المنورة في ليلة الجمعة (١٩) من شهر رمضان سنة ١٩٥ هـ، ويكنى أبا جعفر الثاني تميزاً له عن جده الإمام الباقر (أبي جعفر)، من ألقابه الجواد و التقي .
تزوج أولاً بأم الفضل بنت المأمون، وبعدها سمانة المغربية، وله ولدان، هما الإمام علي الهادي، وموسى . وبتان هما: فاطمة وأمامة، عاصر عهدي المأمون والمعتصم .

تميزت ظروف الإمام الجواد عليه السلام، بمميزات كثيرة، أهمها صغر سنه، فقد قام بالإمامة وهو ابن ثمان سنين، فكان لموضوع عمره الشريف خصوصية خاصة في لفت الأنظار إليه، حتى قيل إنه سئل في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة^(١) .. وكان وقع كلامه يفصح عن مكنون النبوة بشكل مثلج لصدور المتقين وكان مفحماً ومغيضاً لصدور المنافقين والجبابة، فإن في إجاباته مع صغر سنه معجزة جذبت إليه قلوب الخلق، وقد يستغرب المرء هذا المقال حول الإمام الجواد عليه السلام مع أنه تواتر به النقل، ورواه العلماء في كتبهم، وهذا ليس بكثير على الإمام الجواد عليه السلام وهو الوارث لأبائه عليه السلام علماً وفهماً، لكن الشيخ المجلسي رحمته الله، يقول في بحار الأنوار تعليقاً على ما قيل في أنه عليه السلام أجاب على (٣٠٠٠٠) مسألة في مجلس واحد، بأمور هي:

(١) أصول الكافي ١: ٤٩٦، المناقب ٢: ٤٣٠.

أولاً: إن الكلام محمول على المبالغة في كثرة الأسئلة والأجوبة.
ثانياً: يمكن أن يكون في خواطر القوم أسئلة كثيرة متفكة، فلما أجاب عن واحد فقد أجاب عن الجميع.
ثالثاً: أن يكون إشارة إلى كثرة ما يستنبط من كلماته الموجزة، المشتملة على الأحكام الكثيرة، وهذا وجه قريب.
إلى غيره من ما يعني الإعجاز وبسط الزمان الذي يقول به الصوفية.. والتي كلها تعني شيئاً واحداً وهو تمييز الإمام الجواد عليه السلام، بالرد المقنع السريع المعجز الذي زاد في حنق العباسيين عليه، مما دفع المعتصم العباسي إلى إشخاصه من المدينة إلى بغداد سنة (٢٢٠هـ)، ثم دس له السم على يد زوجته أم الفضل بنت المأمون.
وقد وصل بغداد في الثامن والعشرين من المحرم من ذلك العام حتى تسنى للسم أن ينال الجسد الطاهر في اليوم الآخر من ذي القعدة من نفس العام (٢٢٠هـ).

قصة استشهاد الامام الجواد (ع)

فقد روي : « أنّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام وأشار على ابنة المأمون زوجته بأن تسمه لأنه وقف على انحرافها عن أبي جعفر عليه السلام وشدة غيرتها من ضررتها . . . فأجابته الى ذلك وجعلت سمّاً في عنب رازقي ووضعته بين يديه ، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي فقال : ما بكاؤك ؟ والله ليضربنك الله بفقر لا ينجبر ، وبلاء لا ينستر ، فماتت بعلة في اغمض المواضع من جوارحها ، صارت ناصوراً فانفقت مالها وجميع ما ملكته على تلك العلة ، حتى احتاجت الى الاسترفاد»^٢
وأثر السمّ في الإمام تأثيراً شديداً حتى لفظ انفاسه الاخيرة ولسانه يلهج بذكر الله تعالى ، وقد انطفت باستشهاده شعلة مشرقة من الامامة والقيادة المعصومة في الاسلام .

(١) بحار الأنوار ١٢ : ١٢٠ .

(٢) بحار الانوار ٥٠ : ١٧ .

وجُهِّزَ بدن الإمام   فغسِّلَ وأدرج في اكفانه ، وبادر الواثق والمعتمد فصليا عليه ^١ ، وحمل الجثمان العظيم الى مقابر قريش في الكرخ، وقد احتفت به الجماهير الحاشدة ، فكان يوماً لم تشهد بغداد مثله فقد ازدحمت عشرات الآلاف في مواكب حزينة وهي تردد فضل الإمام وتندبه ، وتذكر الخسارة العظمى التي مني بها المسلمون في فقدهم للإمام الجواد   وحفر للجثمان الطاهر قبر ملاصق لقبر جده العظيم الإمام موسى بن جعفر   و كان استشهاد الإمام الجواد   سنة (٢٢٠ هـ) يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة ، وقيل: لخمس ليال بقين من ذي الحجة ، وقيل: في آخر ذي القعدة ^٢. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً .

واما عمر الإمام الجواد   حين قضى نحبه مسموماً فكان خمساً وعشرين سنة [١٦] على ما هو المعروف، وهو أصغر الأئمة الطاهرين الاثني عشر (عليهم السلام) سنّاً ، وقد أمضى حياته في سبيل عزة الاسلام والمسلمين .

جدول مناسبات شهر ذي القعدة

^١ (ان الصلاة من قبلهما على الإمام   إنما هو للتعظيم الإعلامي على قتل الإمام   فلا شك من حضور الإمام الهادي   عند تجهيز أبيه الجواد   . راجع النص من الإمام الهادي على حضوره تغسيل وصلاة ودفن أبيه في مسند الإمام محمد الجواد   : ١٢٥ .

^٢ (حياة الإمام محمد الجواد   : ٢٦٣)

ت	اليوم	المناسبة	السنة
١	اوائل ذي القعدة	تجديد بناء الكعبة المشرفة	٢٠٠٤ق الميلاد
٢	= /١	ولادة السيدة المعصومة <small>عليها السلام</small>	١٧٣هـ
٣	= /٢	النبي <small>صلوات الله عليه</small> و صلح الحديبية	٦ هـ
٤	= /١١	ولادة الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>	١٤٨هـ
٥	= /٢٢	غزوة بني قريظة	٥ هـ
٦	= /٢٥	يوم دحو الأرض	قبل التاريخ
٧	= /٢٦	خروج النبي <small>صلوات الله عليه</small> للحج	١٠ هـ
٨	آخر ذي القعدة	شهادة الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	٢٢٠هـ

الفصل الثالث

ذكريّات شهر ذي الحجة

ذی الحجّة ، أعمال ومناسبات

شهر ذی الحجّة الحرام هو من الشهور المهمة العبادية التي جعل الله تعالى فيها مواقيتاً بغية تعميق العلاقة والارتباط به والتفرغ له عمّا سواه ، خصوصاً العشرة الأولى منه حيث جعلها الله تعالى موعداً للقائه والتقرب منه والزلفة إليه، وهي المراد بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ...﴾^(١٨٥) ، وهي العشرة التي أتم بها موسى عليه السلام ميقاته مع ربه .

وهو شهر شريف وكان صلحاء الصّحابة والتابعين يهتمّون بالعبادة فيه اهتماماً بالغاً، والعشر الأوائل من أيامه هي الأيام المعدودات المذكورة في القرآن الكريم وهي أيام فاضلة غاية الفضل، وقد روي عن النبي صلّى الله عليه وآله: «ما من أيام العمل فيها أحبّ الي الله عزّوجلّ من أيام هذه العشرة»، ولهذه العشرة أعمال، منها:

الأول: صيام الأيام التسعة الأولى منها فإنه يعدل صيام العمر كلّهُ .

الثاني: أن يصلي بين فريضتي المغرب والعشاء في كلّ ليلة من لياليها ركعتين يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب والتوحيد مرّة واحدة، وهذه الآية ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٨٦) ليشارك الحجاج في ثوابهم .

الثالث: أن يدعو بهذا الدعاء من أوّل يوم من عشر ذی الحجّة الى عشية عرفة في دبر صلاة الصّبح وقبل المغرب، وقد رواه الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس عن الصادق عليه السلام وهو دعاء مخصوص ، بالاضافة إلى دعوات اخرى جاء بها جبرئيل هدية إلى عيسى بن مريم عليه السلام .

اللَّهُمَّ هَذِهِ الْأَيَّامُ الَّتِي فَضَّلْتَهَا عَلَيَّ الْأَيَّامِ وَشَرَفْتَهَا قَدْ بَلَّغْتَنِيهَا بِمَنْكَ

(١٨٥) سورة البقرة: الآية ٢٠٣ .

(١٨٦) الأعراف: ١٤٢ .

وَرَحْمَتِكَ، فَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَأَوْسِعْ عَلَيْنَا فِيهَا مِنْ نِعْمَائِكَ، اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ
اَسْأَلُكَ اَنْ تُصَلِّىَ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّآلِ مُحَمَّدٍ وَاَنْ تَهْدِيَنَا فِيهَا لِسَبِيْلِ الْهُدٰى وَالْعِزِّ وَالْغِنٰى
وَالْعَمَلِ فِيهَا بِمَا تُحِبُّ وَتَرْضٰى، ... الخ^{١٨٧}

و فيما يتعلق بمناسبات هذا الشهر الفضيل فان فيه مجموعة من الاحداث و
الوقائع المهمة وذات الاهتمام فاليوم الاول منه كان مناسبة زواج الامام علي عليه السلام من
فاطمة الزهراء (س) واليوم الثالث منه كان تبليغ سورة براءة من قبل الامام علي عليه السلام
وكذلك كان وصول النبي (ص) مكة لاداء حجة الوداع وفي اليوم السابع منه كان
شهادة الامام الباقر عليه السلام وفي اليوم الثامن منه كان خروج الامام الحسين عليه السلام من مكة
الي العراق و التاسع من الشهر هو يوم عرفة ، اليوم الذي دعا الله تعالى عباده فيه إلى
طاعته وعبادته وبسط لهم موائد إحسانه وجوده، وكذلك يوم شهادة مسلم ابن عقييل
و العاشر منه جعله الله عيدا لجميع المسلمين وفي اليوم الثامن عشر منه اتم الله النعمة
علي المسلمين بنصب الامام علي عليه السلام من قبل الرسول (ص) فكان اكمالا لدينه
وغيرها من المناسبات العطرة فحريّ بالمسلم أن يستثمر هذا الشهر لكي يربّي نفسه
تربية إلهية من خلال الاهتمام بالأعمال العبادية في هذا الشهر المبارك ويحيي تلك
المناسبات تعظيما لشعائر الله تعالى وفيما يلي استعراض^{١٨٧} لتلك المناسبات .

^{١٨٧} (راجع مفاتيح الجنان ، أعمال شهر ذي الحجة

زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام^{١٨٨}

(١ / ذى الحجة / السنة الثانية للهجرة)

كان عمر الإمام علي عليه السلام قد بلغ أربعاً وعشرين سنة فلا بد له من الزواج وبدء الحياة المشتركة والسيدة فاطمة الزهراء قد أكملت التاسعة من عمرها وقد تقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الكثير من الصحابة يطلبون يدها، إلا أن الرسول صلى الله عليه وآله امتنع عن ذلك وصرح بأنه ينتظر فيها قضاء الله ^(١٨٩)، إلى أن تقدم أمير المؤمنين عليه السلام، لخطبتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: «يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن علي رسلك حتي أخرج إليك»، فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام، وأخبرها بالأمر الذي جاء لأجله علي عليه السلام، سكتت عليها السلام ولم تولّ وجهها، ولم يرَ فيه الكراهية التي كان يراها في عرض غيره عليها، فقام وهو يقول: «الله أكبر، سكوتها إقرارها»، فخرج إلى علي وموافقة الزهراء عليها السلام بادية على قسائم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة ^(١٩٠)، فقال صلى الله عليه وآله: يا علي هل معك ما أزوّجك به؟ فقال عليه السلام: فداك أبي وأمي، والله لا يخفي عليك من أمرى شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحتي. فقال صلى الله عليه وآله: يا علي، أما سيفك فلا غني بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحتك تنضح به علي نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك، بع الدرع، وائتني بثمنه ^(١٩١).

باع الإمام علي عليه السلام الدرع ^(١٩٢) بأربعمئة وثمانين درهماً، وقيل بخمسمئة ^(١٩٣)، وجاء بالدرهم وطرحها بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، فكان هذا فقط صدق أشرف وأعظم فتاة عرفتها

^{١٨٨} نقلنا المطالب عن كتاب الإمام علي (ع)، ادوار ومواقف .

(١٨٩) أنساب الأشراف ٢ : ٣٠ .

(١٩٠) وقد اشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله، قوله: «لولا علي ما كان لفاطمة كفو».

(١٩١) الإصابة في معرفة الصحابة ٤ : ٣٦٥ .

(١٩٢) كان يسمى هذا الدرع بـ (الحطمية) لأنها كانت تحطم السيوف.

(١٩٣) بحار الأنوار ٤٣ : ١٤٤ .

دنيا الإنسان .

ثم إنَّ النبي ﷺ قَسَمَ المبلغَ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء الطيب، وثلثاً تركه عند أم سلمة أمانة، ثم رده بعد ذلك إلى عليٍّ ؓ قبيل الزفاف، إعانةً منه لوليمة الزفاف .

دفع النبي ﷺ الثلث لأبي بكر وسلمان وبلال ليشتروا لفاطمة ؓ متاع بيتها، فكان ما اشتروه متواضعاً غاية التواضع، بحيث لما طرح بين يدي النبي ﷺ أخذ يقبّلها بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم بارك لقوم جُلُّ آيتهم الخذف» (١٩٤) .

ومن السنن النبوية الوليمة عند الزواج، وقد روي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ دعا بلالاً فقال: يا بلال، إني قد زوجت ابنتي ابن عمي، وأنا أحب أن يكون من سنّة أمّتي إطعام الطعام عند النكاح، فائت الغنم فخذ شاءً وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة لعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار .

ومن خلال هذه النظرة السريعة لهذا الحدث الكبير في تاريخ الإسلام يمكن استقراء جملة من الدروس التربوية العظيمة التي جعلها النبي ﷺ معالم للأجيال، يمكن الإشارة إلى أهمها وهي:

أولاً: اختيار عليٍّ ؓ لفاطمة ؓ - وإن كان من قبل السماء بقوله ﷺ: «إن الله أمرني بأن أزوّج فاطمة من علي» (١٩٥) - لكنه كان وفق ضوابط الإيمان وأهلية كل طرف للطرف الآخر ويدل ذلك بوضوح على أهمية هذه الضوابط واعتبارها هي الأساس في تشكيل الأسرة المسلمة وكيانها .

ولعلّ في الكلام الذي روي عن النبي ﷺ: يا فاطمة، أما إني ما آليت أن أنكحتك خير أهلي (١٩٦) إشارة إلى لزوم انتخاب الأصلح .

ثانياً: السنن والدروس النبوية التي طبعت في معالم تشكيل هذه الأسرة المباركة من قلة المهر وإطعام الطعام وإقامة الفرح والسرور وتوصية الطرفين أحدهما بالآخر

(١٩٤) بحار الأنوار ٤٣ : ١٣٠ ح ٣٢ .

(١٩٥) ذخائر العقبى : ٧٠ .

(١٩٦) الطبقات الكبرى ٨ : ٢٤ .

والبساطة في تجهيز أثاث البيت ومتطلباته.

عاش علي وفاطمة عليهما السلام على أحسن حال، فلم يشتك علي من فاطمة طيلة حياته معها، وكذلك فاطمة عليها السلام، بل كان كل منهما نعم العون على طاعة الله للآخر، وهناك كثير من النصوص تؤكد هذه الحقيقة، فقد قال علي عليه السلام في بيان العلاقة بينهما: «فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها علي أمر حتي قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، لقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان»^(١٩٧).

وجاء في آخر كلام لها عليها السلام مع علي عليه السلام: «يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني»، فقال عليه السلام: «معاذ الله أنت أعلم وأبرّ وأتقي وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبخك بمخالفتي»^(١٩٨).

لقد كان التناغم والتلاؤم بين الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام ما تعكسه هاتان العبارتان، وكيف لا يكونان كذلك وهما من البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بنص كتابه العزيز ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١٩٩).

(١٩٧) مناقب الخوارزمي: ٢٥٦، وكشف الغمة ١: ٣٦٣.

(١٩٨) أمالي الطوسي ١: ٣٨٤، وبلاغات النساء: لابن طيفور ٢٠.

(١٩٩) الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢)

تبليغ سورة براءة في الحج

(٣ / ذي الحجة / السنة ٩ هـ)

وفي هذا اليوم من السنة التاسعة للهجرة أرسل النبي ﷺ أبا بكر إلى مكة بالآيات الأولى من سورة براءة ليقرأها على كفار مكة، فأتاه جبريل الأمين فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تبعث علي بن أبي طالب، وأنه لا يؤديها عنك غيره. وفي رواية أخرى: قال جبريل: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فاستدعى رسول الله ﷺ علياً ﷺ وقال: اركب ناقتي العضاء، والحق أبا بكر فخذ براءة من يده وامض بها إلي مكة، وانبذ بها عهد المشركين إليهم، وخير أبا بكر بين أن يسير مع ركابك، أو يرجع إليّ، فركب أمير المؤمنين ﷺ ناقه رسول الله ﷺ العضاء ولحق به وأخذها منه، وعاد أبو بكر إلى النبي ﷺ مستفسراً عن الأمر قائلاً له ﷺ: أنزل في قرآن؟ فقال ﷺ: لا ولكن الأمين هبط إليّ عن الله (جل جلاله) بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ولا يؤدي عنى إلا علي (٢٠٠).

والحادثة تشير بوضوح إلى جملة من النقاط المهمة التي يمكن الإشارة إليها:

أولاً: الأهمية الخاصة لهذه الآيات الشريفة وما تتضمنه من إمهال الكفار والمشركين فترة أربعة أشهر، تبدأ من العاشر من ذي الحجة وتنتهي باليوم العاشر من شهر ربيع الأول للسنة العاشرة.

ثانياً: تبين الحادثة فضل أمير المؤمنين ﷺ عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ وقد ورد في بعض النصوص كما في (مسند أحمد بن حنبل): أن علياً ﷺ قال: يا رسول الله ﷺ لست خطيباً، فقال النبي ﷺ: لا محيص عن ذلك، فإما أن أذهب بها أو

تذهب بها، فقال على عليه السلام: إذا كان ولا بد فأنا أذهب بها، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: انطلق بها فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك (٢٠١).

ثالثاً: مع أهمية العهود والمواثيق في الإسلام إلا أن الأمر الإلهي أعلن من خلال هذه الآيات إعلاناً عاماً أمام الناس كافة: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾...

فقد تصرف الوحي والرسول صلى الله عليه وآله معهم كما تصرف مع اليهود الذين نقضوا عهودهم ومواثيقهم من جانب واحد، وذلك بالتآمر سراً مع أعداء الإسلام، أو محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله فتمت مواجهتهم وطردهم من المدينة، لكن بعض المعاهدات بقيت سارية المفعول سواء كانت ذات أجل مسمى أم لم تكن ذات أجل مسمى.

إن القرائن والدلائل التي ظهرت من جانب المشركين تدل على أنهم كانوا على استعداد فيما لو استطاعوا أن يوجهوا ضربة قاضية للمسلمين دون أدنى اعتناء بعهودهم، ومن المنطقي أنه إذا رأى الإنسان عدوه يتربص به ويستعد لنقض عهده، ولديه قرائن على ذلك وعلائم واضحة، فمن المنطقي أن ينهض لمواجهة قبل أن يستغفله، ويعلن إلغاء عهده، ويرد عليه بما يستحق.

ومن الجدير ذكره في هذا الباب أن القوانين الدولية المعاصرة لا تعترف بالمعاهدات بين الدول إذا ما تم إقرارها والتوقيع عليها تحت الضغوط والقوة القاهرة.

رابعاً: إن الأديان والعقائد الفاسدة مثل عبادة الأصنام ليست عقيدة ولا فكراً، بل هي خرافة ووهم باطل خطر، فيجب القضاء عليها وإزالتها من المجتمع الإنساني. فإذا كانت قوة عبدة الأصنام وقدرتهم بالغة في الجزيرة العربية آنذاك، فاضطر النبي صلى الله عليه وآله بسبب تلك الظروف إلى معاهدتهم ومصالحتهم، فإن ذلك لا يعني أنه لا يحق له إلغاء معاهدته - إذا ما قويت شوكته - وأن ينقض عهده الذي سيعتبر مخالفاً للمنطق والعقل فيما لو استمر عليه. كما أن هذا الحكم مختص بالمشركين، أما أهل الكتاب وسائر الأقوام الذين كانوا في أطراف الجزيرة العربية فقد بقيت المعاهدات معهم على حالها ولم ينقض النبي صلى الله عليه وآله مواثيقهم وعهودهم حتى وفاته.

إن البراءة في الآية المذكورة أعلاها لا تختص بمشركي الجزيرة بل إنها تشمل البراءة من مشركي العالم كله، الموجودين في عصر الرسالة ومن بعدهم إلى يوم القيامة. وهذه الآية تعلن عن أوضاع موقف سياسي تجاه المشركين وأعداء الإسلام.

وأما من تمسك بقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ

فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ...﴾^(٢٠٢)

لتحريم المظاهرات وإعلان البراءة من المشركين، فمردود، لأن المشهور عند المفسرين في تفسير هذه الآية أن الرفث هو الجماع والفسوق هو جميع المعاصي، والمراد بالجدال هو المراء والمشاجرة والمنازعة^(٢٠٣)، هذا ما عند القوم، وأما عند أهل البيت عليهم السلام فقد فسّر الجدال المذكور في الآية بقول الرجل: لا والله، وبلى والله^(٢٠٤)، وأين هذا من تحريم مطلق الجدال الذي يدعيه القوم، وقد اتخذوه الوهابيون دليلاً على حرمة المظاهرات وإظهار البراءة من الكفار والمنافقين في موسم الحج.

ومن هذا المنطلق كان الإمام الخميني قده يرى بأن السياسة جزء من الدين، وأن عملية فصل السياسة عن الدين التي شاعت خلال العقود الأخيرة من هذا القرن، إنما روج لها المستعمرون، وأن النتائج المشؤومة لهذا الفصل واضحة في العالم الإسلامي وبين أتباع سائر الأديان الإلهية.

وكان الإمام الخميني قده يعتقد بأن الإسلام دين الهداية البشرية في جميع مراحل وأبعاد وأدوار الحياة الفردية والاجتماعية، ولما كانت العلاقات الاجتماعية والسياسية جزءاً لا يتجزأ من حياة البشر، فإن الإمام الخميني قده كان يرى أن الإسلام الذي يهتم بالجوانب العبادية والأخلاقية الفردية فحسب، ويصدّ المسلمين عن تقرير مصيرهم وعن المسائل الاجتماعية والسياسية، إسلام محرّف، وعلى حدّ تعبير سماحته «إسلام أمريكي».

(٢٠٢) البقرة: ١٩٧.

(٢٠٣) الكشف: ١: ٢٦٣.

(٢٠٤) نور الثقلين: ١: ١٦٢.

لقد بادر الإمام الخميني قده بعد انتصار الثورة الإسلامية فضلاً عن الحكومة الإسلامية بأسلوب يختلف تماماً عن الأنظمة السياسية المعاصرة، أوضح أركانه وأصوله دستور الجمهورية الإسلامية، الى إحياء شعائر الإسلام الاجتماعية، وإعادة الروح السياسية للأحكام الإسلامية، وما إحياء وإقامة صلاة الجمعة، و صلاة الجماعة، و صلاة الأعياد الإسلامية الكبرى في مختلف أنحاء البلاد، إلا تأكيد على أن الإسلام عقيدة عبادية سياسية، وطرح المسائل والمشكلات التي يتعرض لها المجتمع الإسلامي داخل البلاد وخارجها في خطب صلوات الجمعة والأعياد الدينية، وتغيير أسلوب ومحتوى مراسم العزاء والرتاء، وغيرها من مضامين التغيير إلا نماذج بارزة على ذلك.

إن أحد أبرز إنجازات الإمام الخميني قده إحياء الحج الإبراهيمي، واعتبر الحج من أبرز مظاهر التلاقي وإعلان البراءة من المشركين، إلا أن الناظر الى الحج لا يرى أي أثر من طرح لمشكلات العالم الإسلامي والبراءة من المشركين. وقد اعتبر قده من خلال بياناته السنوية التي كان يوجهها الى الحجاج في موسم الحج على وجوب اهتمام المسلمين بالأمور السياسية للعالم الإسلامي، واعتبار إعلان البراءة من المشركين ركناً من أركان الحج، وتوضيحاً لمسؤوليات الحجيج في هذا الخصوص.

وبالتدرج اتخذ مؤتمر الحج العظيم شكله الحقيقي وصارت سيرة البراءة تقام سنوياً بمشاركة عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين والمسلمين الثوريين من البلدان الأخرى، يردّدون خلالها شعارات تطالب بإعلان البراءة من أمريكا والاتحاد السوفيتي آنذاك وإسرائيل باعتبارها مصاديق بارزة للشرك والكفر العالمي، وتدعو المسلمين الى الاتحاد.

وفي هذا الصدد يقول سماحة ولي أمر المسلمين الإمام الخامنه قده في ندائه لحجاج بيت الله الحرام وذلك في موسم الحج لعام (١٤٢٤هـ):

«إنهم (المستكبرون) يشعرون بوجود الصحوه الإسلامية، ويشعرون بالخطر من انتشار فكرة (الإسلام السياسي) وسيادة الإسلام، وترتعد فرائضهم عندما يفكرون بيوم تنهض فيه الأمة الإسلامية موحدة مليئة بالأمل، فإن الأمة الإسلامية بما تملكه من ثروات طبيعية، وتراث حضاري تاريخي عظيم، ورقعة جغرافية مترامية الأطراف، وكمّاً

بشري هائل، لن تسمح في ذلك اليوم المنشود، لقوى الهيمنة التي طفت تمتص دم الأمة وتنتهك حرمتها وكرامتها طوال مئتي عام، أن تستمر في هذا الطغيان والعدوان. إن النخب السياسية والفكرية في عالمنا الإسلامي تتحمل اليوم مسؤولية جسيمة في إقامة مناسك الحج وشعائره بما جاء به الإسلام العظيم. إننا نستشرف أفق المستقبل مشرقاً أمام شعبنا والعالم الإسلامي مستمرين بعزيمة راسخة في الدرب الذي رسمه الإمام الخميني العظيم واثقين من تحقق الوعد الإلهي وثوقاً يتزايد يوماً بعد يوم»^(٢٠٥).

(٣)

وصول النبي ﷺ إلى مكة لحجة الوداع^{٢٠٦}

(٤/ ذي الحجة/ السنة ١٠ هـ)

كان وصول النبي ﷺ إلى كدي أو كداء، يوم الاثنين الرابع من ذي الحجة في العام العاشر للهجرة، وكان في آخر نهار ذلك اليوم^(٢٠٧)، فلما أصبح في اليوم التالي اغتسل ودخل مكة نهاراً^(٢٠٨) وذلك من العقبة، فلما انتهى إلى باب المسجد - باب شيبة - استقبل القبلة (الكعبة) فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أبيه إبراهيم^(٢٠٩)، ثم دخل بناقته العضباء واستلم الركن (الحجر الأسود) بمحجته (عصاً قصيرة معوجة الرأس)، وقبل الحجر^(٢١٠) ثم طاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم ﷺ، قرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية التوحيد^(٢١١)، ثم دخل زمزم فشرب منه، ثم استقبل الكعبة وقال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كلِّ داء وسقم». ثم رجع إلى الحجر الأسود ليستلمه وقال لأصحابه: «ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر» ثم استلمه وخرج إلى الصفا، وقال لأصحابه: ابدؤوا بما بدأ به الله تعالى إذ قال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ حتى صعد الصفا فقام عليه، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره ثم قال (ص): «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». قال مثل هذا ثلاث مرات،

^{٢٠٦} المناسبات النبوية، ادوار ومواقف .

(٢٠٧) فروع الكافي ١ : ٢٣٣ و بحار الأنوار ٢١ : ٣٩ .

(٢٠٨) مغازي الواقدي ٢ : ١٠٩٧ .

(٢٠٩) ، فروع الكافي ١ : ٢٣٤ و بحار الأنوار ٢١ : ٣٩٦ .

(٢١٠) فروع الكافي ١ : ٢٨٣ ، مغازي الواقدي ٢ : ١٠٩٨ و بحار الأنوار ٢١ : ٤٠٢ .

(٢١١) صحيح مسلم ٤ : ٣٦ ، مغازي الواقدي ٢ : ١٠٩٨ و بحار الأنوار ٢١ : ٤٠٤ .

ودعا بين ذلك، ثم نزل إلى بطن الوادي ومشى حتى صعد المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا^(٢١٢).

لحوق علي عليه السلام بركب الرسول ﷺ:

كان علي عليه السلام في اليمن، وكان الرسول ﷺ قد كاتب علياً عليه السلام بالتوجه إلى الحج من اليمن، فخرج أمير المؤمنين بمن معه من العسكر الذي صحبه، وساق معه أربعاً وثلاثين بدنة هدياً، معه الحلل^{٢١٣} ولما بلغ يلملم عقد نيته بنية النبي، وقال: اللهم إهلاً كإهلال نبيك.

فلما قارب رسول الله ﷺ مكة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن، فلما كان بالفتق قرب الطائف خلف علي أصحابه أبا رافع القبطي، وتقدمهم للقاء النبي ﷺ، فأدركه وقد أشرف على مكة، فسلم وأخبره بما صنع وأنه سارع للقائه قبل الجيش^(٢١٤).

فسرّ رسول الله ﷺ بذلك وابتهج بقاء علي عليه السلام، وكان محرماً فسأله: بم أهلت يا علي؟ فقال عليه السلام: يا رسول الله، إنك لم تكتب إليّ بإهلالك، ولا عرفتيه، فعقدت نيّتي بنيتك. وقلت: اللهم إهلاً كإهلال نبيك، وسقت معي من البدن أربعاً وثلاثين بدنة، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر فقد سقت أنا ستاً وستين، وأنت شريكى فى حجتي ومناسكى وهديى، فأقم علي إحرامك، وعد إلي جيشك، فعجل بهم إليّ حتى نجتمع فى مكة إن شاء الله.

خطبته ﷺ فى آخر عمرته:

روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام: أنه لما فرغ رسول الله ﷺ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«إن هذا جبرائيل - وأوماً بيده إلي خلفه - يأمرنى أن أمر من لم يسق هدياً أن

(٢١٢). صحيح مسلم ٤: ٣٦، مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٩ و بحار الأنوار ٢١: ٤٠٤.

^{٢١٣} قال الواقدي: إن الحلل هي الغنائم، وقال المفيد: كانت جزية نصارى نجران

(٢١٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠٨.

يحل، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم، ولكنى سقت الهدى، ولا ينبغي لسائق الهدى أن يحل ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾، فقال رجل من القوم: أنخرجن حجاجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر؟! (يعني من غسل الجنابة).

فقال رسول الله ﷺ: أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً!

فقال سراقه بن ملك الكناني: يا رسول الله، علمنا ديننا كأننا خلقنا اليوم؛ فهذا الذي أمرتنا به ألعامنا هذا أم لما يستقبل؟

فقال رسول الله ﷺ: بل هو للأبد إلي يوم القيامة، وشبك أصابعه وقال: دخلت العمرة في الحج إلي يوم القيامة^(٢١٥).

وفي يوم التروية خرج ﷺ إلى مناسك الحج وكان بعد الزوال وبعد الغسل والإهلال بالحج، فمرّ بمنى وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم بعد طلوع الشمس جاء نمرة من موقف عرفات ثم سار إلى عرفات، وانتهى النبي ﷺ إلى نمرة. بحيال شجر الأراك من بطن عرنة من عرفة فوجد قبته قد ضربت هناك فنزل بها حتى زاغت الشمس.

فلما زاغت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت له، فخرج وقد اغتسل فقال: أيها الناس، إن الله باهى بكم في هذا اليوم ليغفر لكم عامة، ثم التفت إلى علي رضي الله عنه فقال: ويغفر لعلّي خاصة، ثم قال: ادن مني يا علي، ودنا منه فأخذ بيده وقال: «إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أطاعك وتولاك من بعدى، وإن الشقى كل الشقى حق الشقى من عصاك ونصب لك العداوة من بعدى»^(٢١٦). ثم ركب وسار حتى وقف حيث المسجد اليوم (مسجد نمرة) في بطن الوادي فخطب الناس.

خطبة الرسول ﷺ في عرفات

كان التأكيد على النقاط التالية في خطبته الشريفة في عرفات :

(٢١٥) فروع الكافي ١: ٢٣٣، و بحار الأنوار ٢١: ٣٩١.

(٢١٦) أمالي المفيد: ١٦١.

١- تحريم دماء المسلمين وأموالهم بعضهم على بعض، فقد قال (ص): «أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، فإنى لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلي أن تلقوا ربكم...»

٢- إلغاء العادات الجاهلية الوثنية في الأخذ بالثأر، فقد قال ﷺ: «إن كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وأنا أضع دم ابن ربيعة بن الحارث».

ما أروع النبي ﷺ حيث إنه قدوة للمسلمين جميعاً، فبدأ بأقربائه في تنفيذ أحكام الإسلام فابن ربيعة بن الحارث الذي قتله البعض، وضع النبي ﷺ دمه وأسقطه، لكي يشجع المسلمين على ترك الثأر.

٣- أداء الأمانة إلى أهلها، فقد قال ﷺ: «إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلي من ائتمنه عليها...».

٤- التأكيد على حرمة الربا، وأن ذلك المال الحاصل منه لا يملكه المرابي، وقد بدأ ﷺ بأقربائه في إسقاط الربا، فأسقط ربا عمه العباس، قال ﷺ: «أيها الناس إن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله».

٥- الوصية بالنساء خيراً، قال ﷺ: «أيها الناس إن لكم علي نساءكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن تبن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، إعتلوا أيها الناس قولى فإنى قد بلغت».

٦- التركيز على حق المسلم على أخيه المسلم، قال ﷺ: «أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم ألا فليبلغ شاهدكم غائبكم؛ لا نبى بعدى ولا أمة بعدكم، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت

قدمى موضوع».

ثم اشهد النبي ﷺ ربه عليهم بقوله: اللهم اشهد... اللهم اشهد... اللهم اشهد. (٢١٧).

وفي مني قد أخبر النبي ﷺ الناس عند مسجد الخيف أن نفسه نعت له، ومن خطبته هناك: «أيها الناس، إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ولن تزلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كإصبعي هاتين». وجمع بين سبابتين، «ولا أقول كهاتين» وجمع بين سبأته والوسطى، «تفضل هذه علي هذه» (٢١٨).

وهكذا أكمل النبي ﷺ حجه، وعلم المسلمين حجهم، وكانت آخر حجة حجها النبي ﷺ، ولذلك سميت حجة الوداع. وهكذا حتى يبلغ الرسول ﷺ غدير خم فتكون لنا مناسبة أخرى نتحدث فيها في تناغم رسالي عن حقيقة الدين الذي أنزله الله على عباده.

(٢١٧) نقلت هذه الخطبة الكثير من كتب الحديث.

(٢١٨) أسنده الكليني في الكافي ١: ٤٠٣ إلى الإمام الصادق، و الصدوق في الخصال ١: ١٤٩.

(٤)

شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام

(٧ / ذى الحجة / السنة ٩٥ هـ)

هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهو الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليهم السلام. ولد عليه السلام بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة. وقبض في المدينة أيضاً سنة أربع عشرة ومئة، فعمره الشريف سبع وخمسون سنة وهو أول علوي من علويين، أبوه زين العابدين عليه السلام وأمه فاطمة بنت الحسن السبط عليه السلام وقبره في البقيع في مدينة الرسول صلوات الله عليه وآله (٢١٩).

كانت شهادة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام على يد هشام بن عبد الملك. وقيل إن عبد الملك بن مروان بعث بسرج مسموم إلى الإمام عليه السلام وعندما وضعوه فوق الفرس وجلس عليه الإمام أحس بحرارة السم، فتورم جسده الشريف وظهرت عليه آثار الموت.

روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «في أحد الأيام طلبني أبي وقال لى: يا جعفر إذا مت فغسلنى وكفنى وارفع قبرى أربع أصابع ورشه بالماء (وكان عنده قوم من أصحابه) فلما خرجوا قلت: يا أبت لو أمرتنى بهذا صنعته، ولم ترد أن أدخل عليك قوماً تشهدهم، فقال: يا بنى أردت أن لا تنازع (أي: في أمر الإمامة)» (٢٢٠).

والحادثة تشير إلى أنه عليه السلام أوضح للحاضرين من شيعته وأتباعه من هو الإمام المفترض الطاعة من بعده. لأن الشيعة يعرفون من خلال أئمتهم أن المعصوم لا يتولى تغسيله وتجهيزه ودفنه إلا خليفته المعصوم من بعده.

والإمام الباقر عليه السلام يمثل حلقة الوصل في استكمال الخطة التي بدأها الإمام زين العابدين عليه السلام وذلك بالسعي الدؤوب في بث علوم آل البيت عليهم السلام، ومواجهة مخططات

(٢١٩) الإرشاد ٢: ١٥٨.

(٢٢٠) الخرائج والجرائح: ١٩٧.

التحريف ونشر الشبه والضلالات والأفكار الإلحادية من قبل الزنادقة والمخطط الأموي في الطمس والتعتيم على أحقية آل البيت عليهم السلام في الإمامة السياسية والفكرية للأمة الإسلامية.

لقد أنشأ الإمام زين العابدين عليه السلام حلقات الدرس والمناظرات في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله وتوسعت هذه الحركة الفكرية في زمن الإمام الباقر عليه السلام وبلغت ذروتها في زمن ولده الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، حيث كانت الدولة الأموية قد أوشكت على الانهيار وقد نقلت التفاسير وكتب الحديث والتاريخ عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أحاديث وحوارات كثيرة حصلت بينه وبين رجال الفكر والعلماء المعاصرين له عليه السلام من أمثال نافع مولى عمر بن الخطاب، حيث التقى به عليه السلام في داخل البيت الحرام، وكان نافع قد ذهب إلى الحج مع الخليفة هشام بن عبد الملك، فنظر نافع إلى الإمام الباقر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق وقال: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تكافأ عليه الناس. فقال: هذا محمد بن علي، قال: لا آتينه ولأسألنه عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي، قال الخليفة هشام: فاذهب إليه لعلك تخجله، وذهب نافع والتقى الإمام الباقر عليه السلام وسأله عن مسائل كثيرة لا يتسع هذا البحث المختصر لإيرادها، ولكن نكتفي بسؤال واحد هو عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ قال نافع: من الذي سأل محمد صلى الله عليه وآله وكان بينه وبين عيسى عليه السلام خمسمائة عام، فأجابه الإمام الباقر عليه السلام بأن ذلك كان من الآيات التي أراها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله الكريم في الإسراء إلى بيت المقدس. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، حيث حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرائيل فأذن شفعا وأقام شفعا، وقال في أذانه حي على خير العمل، ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى بالقوم، فلما انصرف قال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ فقال النبي صلى الله عليه وآله: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله، أخذت على ذلك عهدنا

ومواثيقنا.

قال نافع: صدقت يا أبا جعفر.

وللإمام عليه السلام حوارات كثيرة مع الحسن البصري وطاووس اليماني، ومن أراد التوسعة والاطلاع فليراجع الارشاد للشيخ المفيد ٢٤٤ والاحتجاج للمرحوم الطبرسي، وبحار العلامة المجلسي: ٦: ١٢٥.

وختاماً نشير إلى ما روي عنه عليه السلام من أنه أوصى بثمانمئة درهم تعطى لإقامة المآتم عليه بعد موته، روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب يندبني عشر سنين بمني أيام مني^(٢٢١).

والحكمة من هذا الأمر الذي أمر به الإمام الباقر عليه السلام لولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه أراد ان يعرف المسلمين عامة والشيعه خاصة بأهمية إقامة الشعائر وبالأخص إحياء مجالس أهل البيت عليهم السلام لأن إحياء مجالسهم وذكرهم هو إحياء للإسلام، والقرآن، فأهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن ولا يفترقان أبداً كما صرح بذلك نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين المعروف.

(٢٢١) فروع الكافي ٥: ١١٧.

(٥)

يوم التروية وخروج الحسين عليه السلام من مكة

(٨ / ذى الحجة / السنة ٦٠ هـ)

سمي اليوم الثامن من شهر ذي الحجة بيوم التروية لأن الحجاج يخرجون فيه من مكة محرمين إلى منى وهم يتروون من الماء يحملونه معهم في الروايا إلى عرفات، لأنه لم يكن في الزمن السابق بعرفة ماء، وللصيام في هذا اليوم فضل كثير، وروي أنه كفارة لذنوب ستين سنة، وقال الشيخ الشهيد (رحمه الله): أنه يستحب فيه الغسل.

وفي هذا اليوم - الثامن من ذي الحجة سنة ستين - توجه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق بعد مقامه بمكة من اليوم الثالث من شعبان وكان قد اجتمع إليه مدة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة، وكان عليه السلام قد طاف وسعى وأحل إحرامه وجعلها عمرة لما بلغه أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر، وأمره على الحاج وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجده فكره الإمام الحسين عليه السلام أن تستباح به حرمة البيت.

وخطب الإمام الحسين عليه السلام في مكة خطبته الشهيرة التي قال فيها: «الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلي الله علي رسول الله خُطَّ الموت علي وُلد آدم مخط القلادة علي جيد الفتاة، وما أولهني إلي أسلافِي اشتياق يعقوب إلي يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقية، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً. لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر علي بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، ألا

من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً علي لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنني راحل مصباحاً
إن شاء الله تعالى» (٢٢٢).

وروي أنه عليه السلام قال لعبد الله بن الزبير: إن أبي حدثني أن بمكة كبشاً به تستحل
حرمتهما فما أحب أن أكون ذلك الكبش، ولئن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ
من أقتل فيها، وأيم الله لو كنت في ثقب هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتي
يقضوا في حاجتهم، والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت! (٢٢٣).

ونقرأ في حركة الحسين وخروجه من مكة وخطابه فيها نداء يستصرخ الضمائر
ويهز الوجدان في الأمة، يوضح فيه ملامح حركته وأهدافها، وأن رضا الله عن الأمة لا
يكون في سكوتها عن الظلم وانتهاك الحرمات وتعطيل الحدود وإماتة السنة وإحياء
البدعة، وأن الصلاة والقصد إلى حج البيت الحرام لا معنى له وابن بنت النبي صلى الله عليه وآله مهتد
من قبل الدولة الأموية بالاغتيال، ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، قال عليه السلام: «رضا الله
رضانا أهل البيت» عليه السلام، فهذا هو العنوان الكبير الذي يجب على المسلمين تمثله
والسير وراءه. ٢٢٤.

(٢٢٢) اللهوف: ٣٣، عن مقتل الخوارزمي عن الفتوح لابن اعثم الكوفي المتوفى ٣١٠ .

(٢٢٣) الكامل لابن الأثير ١ : ١٦ عن أبي مخنف، (راجع وقعة الطف لأبي مخنف، تحقيق: الشيخ اليوسفي الغروي)

(٢٢٤) موسوعة المناسبات الاسلامية والعالمية. ط.مكتب الإمام الخامني في سورية .

(٦)

يوم عرفة

(٩ / ذى الحجة / من كل سنة)

اليوم التاسع من ذي الحجة من كل سنة هو يوم عرفة، وهو يوم دعا الله عباده فيه إلى طاعته وعبادته وبسط لهم موائد إحسانه وجوده والشيطان فيه ذليل حقير طريد غضبان أكثر من أي وقت سواه ، وفيه يتحرك الحجاج الذين أحرموا وباتوا في منى (يوم التروية) إلى عرفات، والذين لم يذهبوا إلى منى فالواجب عليهم الإحرام من مكة والأفضل من الحرم، والوصول إلى عرفات قبل الزوال والبقاء فيها إلى غروب الشمس ويقضي الحاج هذه الفترة في تلاوة القرآن والذكر والدعاء والتضرع إلى الله عز وجل يطلبون منه العفو ويسألونه المغفرة والتكفير عن الذنوب، ولذا يمكن ان يطلق علي يوم عرفة عيد قبول التوبة وغفران الذنوب والحصول على السعادة .

وروي أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام سمع في يوم عرفة سائلاً يسأل الناس، فقال له: «ويلك أتسأل غير الله في هذا اليوم؟ وهو يوم يُرْجى فيه للأجِنَّة في الأرحام أن يعمّها فضل الله تعالى فتسعد»^{٢٢٥}

ولهذا اليوم عدة أعمال : الغسل عند الظهر وزيارة الإمام الحسين عليه السلام وصلاة ركعتين تحت السماء بعد فريضة العصر قبل البدء بدعوات يوم عرفة ، و الصوم لمن لا يضعفه الدعاء ، والاقرار لله تعالى بالذنوب للفوز بثواب عرفات وقراءة الادعية الماثورة عن الحجج الطاهرة عليهم السلام، وهي أكثر من أن تذكر في هذه الوجيزة. والمشهور منها دعاء عرفة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام حيث دعا به في جمع من الناس

^{٢٢٥} وسائل الشيعة ١٠ : ٢٨ ، ح ١ .

في اواخر وقت يوم عرفة وكذلك دعاء الامام السجاد علي بن الحسين عليه السلام في هذا اليوم المذكور في الصحيفة السجادية ، وهو الدعاء السابع والاربعون .

وقال الكفعمي في (المصباح): يستحب صوم عرفة لمن لا يضعف عن الدعاء، والاعتسال قبل الزوال، وزيارة الإمام الحسين عليه السلام فيه وفي ليلته، فإذا زالت الشمس فابرز تحت السماء وصل الظهرين تحسن ركوعهما وسجودهما، فإذا فرغت فصل ركعتين في الأولى بعد الحمد التوحيد، وفي الثانية بعد الحمد سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ^(٢٢٦)، ثم صل أربعاً أخرى في كل ركعة الحمد والتوحيد خمسين مرة.

واقرأ في هذا اليوم الزيارة الجامعة الثالثة وقل في آخر نهار عرفة: يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي لَا تَضُرُّكَ، وَإِنَّ مَغْفِرَتَكَ لِي لَا تَنْقُصُكَ، فَأَعْظِمْنِي مَا لَا يَنْقُصُكَ، وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَقُلْ أَيْضاً: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْنِي بَتَعْبَى وَنَصَبِي فَلَا تَحْرِمْنِي أَجْرَ الْمُصَابِ عَلَيَّ مُصِيبَتِهِ

والليلة التاسعة كيومها مباركة لأن التوبة تقبل فيها والدعاء مستجاب وأجر من أحيها كمن عبد الله تعالى سبعين سنة من العبادة، ومن المسنون فيها: دعاء «اللهم يا شاهد...»، تسيحات يوم عرفة ١٠٠ مرة، دعاء «اللهم من تعباً وتهياً...» وزيارة الإمام الحسين عليه السلام. ^(٢٢٧)

الوقوف بعرفات

وادي عرفات أرض الرحمة و المغفرة وقبول الدعاء ، تبعد عن الكعبة (مدينة مكة) حوالي (٢١) كيلو متر، وفيها جبل الرحمة والمغفرة و الحجيج يقصدها يوم عرفة لأداء حج التمتع، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ...﴾ ^(٢٢٨) فحجاج بيت الله الحرام بعد ارتدائهم لملابس الإحرام يفيضون الى عرفات ويقفون في هذه المنطقة من ظهر يوم التاسع من ذي الحجة إلى أوان غروب الشمس،

(٢٢٦) الكافرون: ١.

(٢٢٧) لزيادة الاطلاع راجع مفاتيح الجنان - أعمال شهر ذي الحجة.

(٢٢٨) البقرة: ١٩٩

منهمكين بالدعاء والتضرع، لينزل الله تعالى عليهم رحمته ويأتي جمع من الحجاج يوم عرفة إلى مسجد نمرة، ليصلوا الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم يشرعوا بالدعاء والتضرع ومسألة الله تعالى حتى الغروب واهم مايسألون الله هوغفران ذنوبهم بعد الاعتراف بها اقتداء بالنبي ابراهيم الخليل (ع) ففي رواية عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عرفات لم سميت عرفات؟ فقال: «إن جبرائيل عليه السلام خرج بإبراهيم عليه السلام يوم عرفة، فلما زالت الشمس قال جبرائيل: يا إبراهيم اعترف بذنوبك، واعرف مناسكك، فسميت عرفات لقول جبرائيل اعترف فاعترف»^(٢٢٩) وهناك أسباب أخرى للتسمية

اذن إحدى أهم الألفاظ التي يحصل عليها الحجاج من رحلة الحج المعنوية، هو غفران الذنوب، ففي اليوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام، يأتي الحجاج من كل فج عميق ويجمعون في عرفات، ويطلبون من الله تعالى أن يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم ويظهرهم من الأدران، فهم في دعاء وبكاء وتوسل فعن الامام علي عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما حج حجة الوداع، وقف بعرفة فأقبل على الناس بوجهه فقال: مرحباً بوفد الله - ثلاث مرات - الذين إن سألوا أعطوا، وتُخلف نفقاتهم، ويجعل لهم في الآخرة بكل درهم ألفاً من الحسنات، ثم قال: يا أيها الناس ألا أبشركم؟! قالوا: بلي يا رسول الله: قال: إنه إذا كانت هذه العشيء باهي الله بأهل هذا الموقف الملائكة، فيقول: «يا ملائكتي انظروا إلي عبيدي وإمائي أتوني من أطراف الأرض، شعناً غبراً، هل تعلمون ما يسألون؟ فيقولون: ربنا يسألونك المغفرة، فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم، فانصرفوا من موقفكم مغفوراً لكم ما سلف»^(٢٣٠).

الدعاء في يوم عرفة

(٢٢٩) مستدرك الوسائل ١٠ : ٢٦ الباب ١٤ ح ١٣٧٢.

(٢٣٠) مستدرك الوسائل ٨ : ٣٦.

الدعاء هو نداء العبد ربه، وإقباله عليه، وهو روح العبادة وجوهرها، فعن رسول الله ﷺ: «الدعاء مُخَّ العبادة»^(٢٣١)، والعبادة هي الغاية من الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢٣٢)، وكذلك فإن الله تعالى لا يعبأ بالعباد لولا الدعاء، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ...﴾^(٢٣٣)، وقد جعل الدعاء من أعظم ما يتقرب العبد به إلى ربه، قال الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بالدعاء فإنكم لا تتقربون بمثله»^(٢٣٤).

وللدعاء فوائد كثيرة، فإنه يطهر النفس من درن الذنوب والآثام، كما يوطد العلاقة والارتباط مع الله سبحانه، كما أنه به يدفع البلاء ويحل القضاء بعدما أبرم إبراماً، وهو سلاح المؤمن عند الشدائد والمصائب، وبه شفاء المريض ونزول البركة، وسعة الأرزاق.

ولعل من أعظم فوائده هو فهم وإدراك الكثير من المعارف الإسلامية على الصعيد العقائدي والأخلاقي والتربوي، بما تحمله أدعية أهل البيت عليهم السلام من علوم إسلامية صاغوها في قوالب دعائية، ويكفي للإذعان بهذه الفوائد العظيمة قراءة أدعية الصحيفة السجادية.

ونجد أئمة أهل البيت عليهم السلام قد أبدوا مزيداً من الاهتمام بالدعاء، ومنهم الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي ورد عنه بعض الأدعية التي حفلت بالدروس التربوية الهادفة، حيث شملت أبعاداً متعددة ساهمت في بناء العقيدة والإيمان بالله تعالى، وتنمية حالة الرهبة لله تعالى في أعماق نفوس الناس، وقد حوت أدعيته عليه السلام أصول الأخلاق وقواعد السلوك والآداب، كما ألمت بفلسفة التوحيد ومعالم الرسالة الإسلامية ومن بين تلك الأدعية قد اشتهر دعاء عرفه الذي دعا به الإمام ربه يوم عرفه في صحراء عرفات فهو السفر الخالد في عالم الروح، وهو بحق ثورة في عالم النفس، فإذا كانت ثورة الطف الخالدة تستهدف قلع الفساد

(٢٣١) بحار الأنوار ٩٣: ٣٠٠.

(٢٣٢) الذاريات: ٥٦.

(٢٣٣) الفرقان: ٧٧.

(٢٣٤) بحار الأنوار ٩٣: ٢٩٣ / ٢٢.

الظاهر يأتي دعاؤه ﷺ ليستهدف طغيان الذات، وبهذا شكّل هذا الدعاء وغيره عند الإمام الحسين بن علي ﷺ ممارسة لا تنفك عنه، فنجده لم يتركه حتى في أخرج ساعات واقعة الطف، فقد دعا بدعاء جده النبي الأكرم ﷺ يوم أحد والأحزاب .

وقد روى هذا الدعاء الشريف بشر وبشير الأسديان حيث قالوا: كنا مع الإمام الحسين بن علي ﷺ عشية عرفة، فخرج ﷺ من فسطاطه متذلاً خاشعاً، فجعل يمشي هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت، ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، وقال ﷺ:

مقتطفات من دعاء عرفة

اللَّهُمَّ اجْعَلْ غِنَايَ فِي نَفْسِي وَالْيَقِينَ فِي قَلْبِي وَالْإِخْلَاصَ فِي عَمَلِي وَالنُّورَ فِي بَصَرِي وَالْبَصِيرَةَ فِي دِينِي وَمَتَّعْنِي بِجَوَارِحِي وَاجْعَلْ سَمْعِي وَبَصَرِي الْوَارِثِينَ مِنِّي وَأَنْصُرْتَنِي وَاسْتُرْ عَوْرَتِي وَاعْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَأَخْسَأْ شَيْطَانِي وَفُكَّ رِهَانِي وَاجْعَلْ لِي يَا إِلَهِي الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ...

اللَّهُمَّ مَا أَخَافُ فَاكْفِنِي وَمَا أَحْذَرُ فَقِنِي وَفِي نَفْسِي وَدِينِي فَاحْرُسْنِي وَفِي سَفَرِي فَاحْفَظْنِي وَفِي أَهْلِي وَمَالِي فَاخْلُفْنِي وَفِيمَا رَزَقْتَنِي فَبَارِكْ لِي وَفِي نَفْسِي فَذَلِّلْنِي وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ فَعَظِّمْنِي وَمِنْ شَرِّ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فَسَلِّمْنِي وَبِذُنُوبِي فَلَا تَفْضَحْنِي وَبَسْرِيرَتِي فَلَا تُخْزِنِي وَبِعَمَلِي فَلَا تَبْتَلْنِي وَنِعْمَكَ فَلَا تَسْلُبْنِي وَإِلَيَّ غَيْرَكَ فَلَا تَكِلْنِي ...

يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَنْعَمْتَ أَنْتَ الَّذِي أَحْسَنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَجْمَلْتَ أَنْتَ الَّذِي أَفْضَلْتَ أَنْتَ الَّذِي أَكْمَلْتَ أَنْتَ الَّذِي رَزَقْتَ أَنْتَ الَّذِي وَقَّعْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَغْنَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَقْنَيْتَ أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَ أَنْتَ الَّذِي كَفَيْتَ أَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَ أَنْتَ الَّذِي عَصَمْتَ أَنْتَ الَّذِي سَتَرْتَ أَنْتَ الَّذِي أَقَلْتَ أَنْتَ الَّذِي مَكَّنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعْزَزْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعْنَتَ أَنْتَ الَّذِي عَضَدْتَ أَنْتَ

الَّذِي أُيِّدْتَ أَنْتَ الَّذِي نَصَرْتَ أَنْتَ الَّذِي شَفَّيْتَ أَنْتَ الَّذِي عَافَيْتَ أَنْتَ الَّذِي
أَكْرَمْتَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ دَائِمًا وَلَكَ الشُّكْرُ وَاصِبًا أَبَدًا .

يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ وَيَا أَبْصَرَ النَّاطِرِينَ وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ السَّادَةِ الْمَيَامِينَ وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ حَاجَتِي الَّتِي إِنِ
أَعْطَيْتَنِيهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا مَنَعَنِي وَإِنِ مَنَعْتَنِيهَا لَمْ يَنْفَعْنِي مَا أُعْطَيْتَنِي أَسْأَلُكَ فَكَأَنَّ
رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ وَلَكَ الْحَمْدُ
وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا رَبِّ يَا رَبِّ .^(٢٣٥)

(٧)

شهادة مسلم بن عقيل وهانى بن عروة

(٩/ ذى الحجة / السنة ٦٠ هـ)

هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن عم الإمام الحسين عليه السلام بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد مسلم في المدينة واستشهد في الكوفة عام ستين، وروي أن عمره كان ٣٤ أو ٣٨ سنة، وربما كان أكثر من ذلك، وقد نشأ في بيت عمه أمير المؤمنين عليه السلام، وحضر معه وقائع الجمل وصفين والنهروان، وكان لنشأته مع ابني عمه الحسن والحسين عليه السلام أثره البالغ في سلوكه وتربيته الرسالية، وتحمله مسؤولية السفارة عن الحسين عليه السلام، بين أهل الكوفة وأدائه الرائع لرص الصفوف حوله ورفضه التخلي عنه ومواجهته الشجاعة للطاغية ابن زياد ودولة الظلم الأموية.

وقد كانت زوجته رقية الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام مع الحسين عليه السلام في ركبته مع بنتها وأولادها الذين استشهدوا في واقعة الطف وبعدها.

مسلم علي مستوي المهمة الموكلة إليه:

عندما وردت كتب أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام تستدعيه، وتعلن ولاء العراقيين له، واستعدادهم ليكونوا خلفه جنوداً مجنّدة، دعا الامام عليه السلام مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعُمارة بن عُبيد السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله ابن الكدن الأرحبي، فأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين، مستوثقين عجل إليه بذلك.. وأنفذ معه كتاباً إليهم: «وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وقد أوصاه قائلاً: «إني موجّهك إلي أهل الكوفة، وسيقضى الله من أمرك ما يحب ويرضي، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء،

فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها،
وادع الناس إلي طاعتي، فإن رأيتهم مجتمعين علي بيعتي فعجل علي بالخبر حتى
أعمل علي حسب ذلك إن شاء الله تعالي»^(٢٣٦).

في بيت المختار الثقفي:

«ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيدة، وهي التي
تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه».

«وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب
الحسين عليه السلام فيكون، ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة.

وقد اختلف المؤرخون حول عدد الذين بايعوا مسلم للإمام الحسين عليه السلام فذكر
أغلبهم أنهم كانوا ثمانية عشر ألفاً^(٢٣٧)، لذلك كتب مسلم إلى ابن عمه الحسين عليه السلام في
رسالة له، وهو يقول فيها:

«أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر
ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل
معاوية رأي ولا هوي، والسلام.

مضت الدعوة إلى الحسين عليه السلام تتسع في الكوفة وجوارها، وأصبح الناس يهتفون
باسمه حتى ضاق الأمر على النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة. عندها كتب أنصار
الأمويين إلى يزيد بن معاوية بالشام، وعرفوه إقبال الناس على مسلم ودعوته، وبيعة
الحسين عليه السلام، وضعف الوالي النعمان.

فجمع يزيد أنصاره ومستشاريه وعلى رأسهم سرجون الرومي، وسألهم ما العمل؟

فأشاروا عليه بتولية عبيد الله بن زياد وعزل النعمان بن بشير^(٢٣٨).

(٢٣٦) تاريخ الطبري ٦ : ١٠٨ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٣٨٦ وبحار الأنوار : ٣٣٥ / ٤٤ .

(٢٣٧) الإرشاد : ٢٠٥ ، تاريخ الطبري ٣ : ٢٩٠ الكامل في التاريخ ٣ : ٣٨٦ .

(٢٣٨) أنساب الأشراف ، وأعيان الشيعة ، ١ : ٥٨٩ .

خرج عبيد الله بن زياد من البصرة، وأقبل إلى الكوفة حيث عُيِّن والياً عليها بدلاً من الوالي السابق النعمان، ولما قدم ابن زياد الكوفة انفضَّ أنصار مسلم بن عقيل من حوله، لأن ابن زياد استخدم بحكم نفسيته الخبيثة الترهيب تارة والترغيب أخرى، فتوارى مسلم عن الأنظار وأقام في دار هاني بن عروة متكتماً لا يعلم بوجوده سوى خواص الشيعة.

مسلم لا يغدر:

جاءت الأخبار لابن زياد: أن شريك بن الأعور مريض في بيت هاني فسارع لعيادته لأن شريكاً من كبار الأشراف والوجهاء ولما علم شريك أن ابن زياد قادم لاحت بفكره خطة فقال لمسلم بن عقيل:

إن غايتك وغايتي هلاك الظالمين وهذا عبيد الله قادم لزيارتي فاقتله وأرح البلاد والعباد من جورهِ. فقال مسلم: وكيف ذلك؟ فقال شريك: أقم في هذه الخزانة - وأشار بيده إلى خزانة في الحائط - حتى إذا دخل ابن زياد وأخذ في الحديث أخرج أنت إليه فاقتله وأرح الناس من شره، وضع يدك على زمام الحكم ريثما يحضر مولانا الحسين عليه السلام.

اختبأ مسلم في الخزانة، دخل ابن زياد منزل هاني بن عروة وجلس بالقرب من شريك وراح يستفسر عن صحته وكانت عين شريك ترمق الخزانة بين الحين والآخر يتوقع خروج ابن عقيل شاهراً سيفه يضرب ابن زياد ضربة واحدة ويقتله. لكن مسلماً لم يخرج وطال الانتظار ولم يخرج مسلم. ونادى بأعلى صوته:

حيّوا سليماً وحيّوا من	ما الانتظار بسلمى لا تحيّيها
يحيّيها	وإن تخشيت من سلمى
فلست تأمن يوماً من دواهيها	مراقبة

ولما خرج ابن زياد من دار هاني، التفت شريك إلى مسلم بن عقيل وقال له معاتباً: بالله عليك يا ابن عقيل ألا أخبرتني لماذا لم تقتله؟ وما الذي منعك من قتله؟

فقال مسلم: لقد منعني من قتله امران:

الأول: حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «إن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن»، والثاني: امرأة هاني، فإنها تعلقت بي وأقسمت عليّ بالله أن لا أفعل هذا في دارها، وبكت في وجهي.
فقال هاني: يا ويلها من حمقاء جاهلة، قتلتني وقتلت نفسها، والذي فرّت منه وقعت فيه.

شهادة مسلم بن عقيل وهاني

استطاع ابن زياد من السيطرة على أوضاع الكوفة بالإغراء والوعيد، وفرض عليها من الخوف والرعب، فتفرق أصحاب مسلم من حوله، وظل وحيداً غريباً بالكوفة بلا مأوى، فما زالوا يتفرقون حتى لم يبق من الأربعة آلاف الذين كانوا معه إلا ثلاثمائة رجل، ولما أمسى المساء صلّى مسلم بن عقيل المغرب والعشاء بالمسجد فلم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً، ولما خرج من المسجد لم يبق معه غير عشرة نفر، وبعد برهة نظر إلى خلفه وإذا به وحيداً ليس معه أحد يدلّه على الطريق، مشى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، واستبد بمسلم العطش والتعب، حتى وصل إلى باب دار امرأة يقال لها طوعة.

فقال مسلم: يا أمة الله هل لك أن تسقيني شربة ماء.

أجابت طوعة: حباً وكرامة. ودخلت الدار بسرعة وجاءت بالماء، شرب مسلم وأعاد إليها الإناء شاكراً. ثم جلس ليستريح واضعاً رأسه بين يديه مهموماً.
فقالت طوعة له: يا عبد الله اذهب إلى أهلك فإنه لا يصحّ لك الجلوس على باب داري.

عندها قام مسلم بتناقل يجر رجليه ثم وقف وقال: يا أمة الله ما لي في هذا البلد أهل ولا عشيرة فهل إلى أجر ومعروف؟ ولعلّي أكافئك به بعد هذا اليوم.
فقالت طوعة بدهشة وتعجب: يا عبد الله ما هذه المكافأة وكيف ذلك؟ ومتى بعد

هذا اليوم؟ فقال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل من آل بيت رسول الله وأنا سفير الحسين إلى أهل الكوفة.

لكن طوعة ما إن سمعت باسمه حتى صاحت بلهفة: أحقاً أنت مسلم؟ أحقاً أنت سفير الإمام الحسين عليه السلام؟ أجاب مسلم: نعم يا أمة الله. فقالت: سيدي يا مسلم اغفر لي خشونتي وما بدر مني أدخل بأبي أنت وأمي إلى داخل الدار. (٢٣٩).

وما كاد الصبح يتنفس حتى أسرع ولدها إلى القصر وأخبر بمكان مسلم، وفور وصول النبأ إلى ابن زياد أرسل قوة كبيرة إليه، وما أن سمع مسلم بالضجة حتى أدرك أن القوم يطلبونه، فخرج إليهم بسيفه وكانوا قد طوقوا الدار من كل جهاتها فانهمزوا بين يديه وهم أكثر من مائتي مقاتل، وبعد معارك ضارية بينه وبينهم في الشوارع استعملوا فيها النار والحجارة من أعلى السطوح استسلم لهم بعد أن أمنه ابن الأشعث وأعطاه العهود.

ومضى معهم إلى القصر فأدخل على ابن زياد ولم يسلم عليه وجرى بينهما حوار طويل كان فيه ابن عقيل رضوان الله عليه رابط الجأش منطلقاً في بيانه قوي الحججة حتى أعياه أمره وانتفخت أوداجه وجعل يشتم علياً والحسن والحسين، ثم أمر جلاوزته أن يصعدوا به إلى أعلى القصر ويقتلوه ويرموا جسده إلى الناس ويسحبوه في شوارع الكوفة ثم يصلبوه إلى جانب هانئ بن عروة، هذا وأهل الكوفة وقوف في الشوارع وكأنهم لا يعرفون من أمره شيئاً، وقد صورَ عبدالله بن الزبير الاسدي الكوفي الزيدي هذه المأساة بقوله:

فإن كنت لا تدريين ما الموت	إلى هانئ في السوق وابن عقيل
ف_____انظري	وأخر يهوي من طمار قتيل
إلى بطل قد غيّر الموت لونه	فكونوا نساء أرضيت بقليل
فإن أنتم لم تتأروا لأخيكم	

(٢٣٩) راجع مقاتل الطالبين، قضية مسلم بن عقيل .

(٨)

عيد الأضحى المبارك (يوم النحر)

(١٠ / ذى الحجة / من كل سنة)

ليلة العاشرة من ذى الحجة هي احدي الليالي الاربع التي يستحب احياؤها وتفتح فيها ابواب السماء ونهار هذه الليلة هو عيد الاضحى المبارك وهو ثاني اعياد المسلمين بعد عيد الفطر المبارك، وفيه يقوم الحجاج بالإحلال من إحرامهم في منى بعد الإفاضة من مزدلفة، وأعمال هذا اليوم هي على الترتيب: رمي جمرة العقبة الكبرى، وذبح الهدي، والحلق أو التقصير. ويحرم في عيد الفطر والأضحى الصيام، ويستحب فيهما صلاة العيد، ويستحب لغير الحاج الأضحى في يوم عيد الأضحى المبارك.

وأعمال هذا اليوم عديدة منها:

الأول: الغُسل وهو سنة مؤكدة في هذا اليوم .

الثاني: أداء صلاة العيد ولكن يستحب أن يؤخر في هذا اليوم الإفطار عن الصلاة

الثالث: التضحية وهي سنة مؤكدة و يستحب أن يفطر على لحم الأضحية .

الرابع: قراءة الدعوات الماثورة قبل صلاة العيد وبعدها، ولعل أفضل الأدعية في هذا اليوم هو الدعاء الثامن والأربعون من الصحيفة السجادية الكاملة و قراءة دعاء الندبة .

الخامس: أن يكبر بالتكبيرات الآتية عقب خمسة عشر فريضة أولها فريضة ظهر العيد وآخرها فريضة فجر اليوم الثالث عشر، هذا لمن كان في منى، وأما من كان في سائر البلاد فيكبر بها عقب عشر فرائض تبدأ من فريضة ظهر العيد وتنتهي بفجر

اليوم الثاني عشر والتكبيرات على رواية الكافي الصحيحة كما يلي: «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر الله أكبر والله الحمد، الله أكبر علي ما هدانا، الله أكبر علي ما رزقنا من بهيمه الأنعام، والحمد لله علي ما أبلانا»، ويستحب تكرار هذه التكبيرات عقب الفرائض ما تيسر، كما يستحب التكبير بها بعد النوافل أيضاً.

اعمال ايام التشريق

ايام التشريق هي الايام الثلاثة بعد يوم عيد الاضحى ، وهناك اعمال مستحبة يؤتى بها في هذه الايام

منها: الاضحية ، وتستحب يوم العيد ، ويمكن الاتيان بها في اليومين الحادي عشر والثاني عشر في الامصار ، وكذلك في اليوم الثالث عشر في منى .

ومنها : التكبيرات المعروفة المذكورة انفا ، حيث يستحب الاتيان بها في الحج ابتداءً من فريضة ظهر العيد إلى الثالث عشر من ذي الحجة بعد الفرائض والنوافل في منى ، وأما في سائر الامصار فيستحب ذلك الى فجر الثاني عشر من ذي الحجة .

معنى العيد فى الاسلام

والعيد في الإسلام، يعني العودة إلى الله عز وجل بنفس وقلب طاهرين ولا يكون هذا إلا بعد عمل عبادي عظيم يؤدي إلى المغفرة والرضوان الإلهي، فالصيام الذي يستمر شهراً كاملاً، وفيه ليالي القدر التي يتم إحيائها بالعبادة والتضرع إلى الله عز وجل، وفيه ربيع القرآن الكريم، وحيث يسعى المسلم في هذا الشهر الفضيل إلى تلاوته والتدبر فيه، فبعد هذه الفترة المباركة من صيانة السمع والبصر والقلب عن المحرمات والطاعة لله عز وجل يأتي عيد الفطر المبارك، وكذلك بالنسبة إلى عيد الأضحى المبارك إذ يقع بعد فترة عبادية هي الحج إلى بيت الله الحرام وأداء العمرة.

ومن مستحبات عيد الأضحى: صلاة العيد والغسل، وأن يلبس الإنسان أنظف ثيابه، والدعاء بالمأثور كما ورد في الإقبال: «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد اللهم ربنا لك الحمد كما ينبغي لعز سلطانتك وجلال وجهك لا إله إلا أنت

الحليم الكريم... إلى آخر الدعاء»، وورد في كتب الأدعية والزيارات أعمال مستحبة في ليلة عيد الأضحى يومها ومما ورد من المستحبات زيارة الإمام الحسين عليه السلام في ليلة العيد، وروي أن الصادق عليه السلام كان يعجبه أن يفرغ نفسه إلى العبادة أربع ليال في السنة، وهي أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة الأضحى ^(٢٤٠).

وفي يوم الأضحى المبارك يتذكر المسلم التسليم المطلق لله من قبل النبي إبراهيم ولده إسماعيل عليه السلام، فالأب يصارح ولده البالغ من العمر ١٣ عاماً بالرؤيا التي رآها بأن يذبحه قرباناً لله تعالى، والولد يسلم لأمر الله بإخلاص والقرآن الكريم ينقل لنا هذا التخاطب الجميل بينهما بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَىٰٓ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى الْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ^(٢٤١). وبهذا يقدم إبراهيم وابنه إسماعيل أعظم درجة في الحب والعشق الإلهي والتضحية والفداء في سبيل الله، ولا يسع المجال في هذا المقال أن نبحت هذه القصة بكاملها فمن أراد التعرف عليها، عليه بمراجعة الآيات ١٠٢ - ١١٠ من سورة الصافات ومعانيها في كتب التفسير.

(٢٤٠) إقبال الاعمال، أعمال شهر ذي الحجة.

(٢٤١) الصافات: ١٠٢.

(٩)

يوم غدیر خم (على ﷺ وصی النبی ﷺ) (٢٤٢)

(١٨/ذی الحجّة/السنة ١٠ هـ)

أجمع رسول الله ﷺ الخروج إلى الحجّ في سنة عشرٍ من الهجرة، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتّمون به في حجّته تلك التي يطلق عليها حجّة الوداع، وحجّة الإسلام، وحجّة البلاغ، وحجّة الكمال، وحجّة التمام^(٢٤٣)، ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله سبحانه.

فلما قضى مناسكه، وانصرف راجعاً نحو المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورة، وصل إلى غدیر خم من الجحفة، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجّة، نزل إليه جبرائيل الأمين ﷺ عن الله مذكراً بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾^(٢٤٤)، وأمره أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كلّ أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمّرات^(٢٤٥) خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهنّ أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، فقمّ ما تحتهنّ، حتى إذا نودي بالصلاة - صلاة الظهر - عمد إليهنّ، فصلى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه، وبعضه

(٢٤٢) اقتباساً من كتاب ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجّة السنة العاشرة للهجرة من إصدار مكتب الإمام الخامنئي في سورية

وقد طبعه المجمع العالمي لاهل البيت بعنوان: الغدير ضمن سلسلة في رحاب اهل البيت (ع).

(٢٤٣) الغدير ١ : ٩، إنّ الوجه في تسمية حجة الوداع بالبلاغ هو نزول الآية ٦٧ من سورة المائدة، كما أنّ الوجه في تسميتها بالتمام

والكمال هو نزول الآية الثالثة من سورة المائدة.

(٢٤٤) المائدة: الآية ٦٧.

(٢٤٥) سمّرات، جمع سمرة: شجرة الطلح.

تحت قدميه، من شدة الرمضاء. وظلَّ لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف ﷺ من صلاته، قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل^(٢٤٦)، وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال ﷺ:

أما بعد: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير: أنه لم يُعمر نبيّ إلا مثل نصف عمر الذي قبله. وإنّي أوشك أن أدعي فأجيب، وإنّي مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنّك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: «أستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حق وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من فى القبور؟».

قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «اللهم اشهد»، ثم قال: «أيها الناس ألا تسمعون؟» قالوا: نعم.

قال: «فإنّي فرط^(٢٤٧) علي الحوض، وأنتم واردون علىّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبُصري^(٢٤٨)، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني فى الثقلين^(٢٤٩)».

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله ﷺ؟

قال: «الثقل الأكبر كتاب الله طرفٌ بيد الله عزّ وجلّ وطرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتى، وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا».

ثم أخذ بيد عليّ ؑ فرفعها حتى رُوي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون،

(٢٤٦) المستدرک للحاکم ٣: ٥٣٣. وجمع الزوائد ٩: ١٠٦.

(٢٤٧) الفَرَطُ: المتقدّم قومه الى الماء، راجع غريب الحديث، لابن سالم ١: ٤٥.

(٢٤٨) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم، وبُصري: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

(٢٤٩) الثقل: كل شيء خطير نفيس. راجع تاج العروس للزبيدي ٧: ٢٤٥.

فقال: «أيها الناس من أولي الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.
 قال: «إن الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولي بهم من أنفسهم فمن كنت
 مولاه فعلى مولاه»، يقولها ثلاث مرات - وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرات -
 ثم قال: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه
 وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد
 الغائب».

ثم لم يتفرقا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
 وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾ (٢٥٠).

فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر علي إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب
 برسالتى، والولاية لعلي من بعدى».

ثم طفق القوم يهتئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وممن هنأه في مقدمة
 الصحابة الشيخان: أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت
 وأمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. قال ابن عباس: وجبت - والله - في أعناق
 القوم.

فقال حسان: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهن، فقال: «قل
 علي بركة الله».

فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله ﷺ
 في الولاية ماضية، ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم وأسمع بالرسول مناديا
وقال: فمن مولاكم ووليكم؟	فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا: اللهم وال وليه وكن للذي عادى علياً معادياً

فقال له رسول الله ﷺ: «لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»، هذا مجمل القول في واقعة الغدير^(٢٥١).

عيد الغدير في التاريخ الإسلامي

لقد تعلقت المشيئة الربانية بأن تبقى واقعة الغدير التاريخية في جميع القرون والعصور كتاريخ حيّ يجتذب القلوب والأفئدة، ويكتب عنه الكتاب الإسلاميون في كل عصر وزمان، ويتحدثون حوله في مؤلفاتهم المتنوعة، في مجال التفسير والتاريخ والحديث والعقائد، كما يتحدث حوله الخطباء في مجالس الوعظ والشعراء في قصائدهم، ويعتبرونها من فضائل الإمام علي عليه السلام الذي لا يتطرق إليها أي شك أو ريب.

إنّ من أسباب خلود هذه الواقعة الكبرى ودوام هذا الحدث العظيم هو: نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها^(٢٥٢)، فما دام القرآن الكريم باقياً مستمراً يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، فسوف تبقى هذه الحادثة حيّة في العقول والقلوب.

إنّ أبناء المجتمع الإسلامي في العصور السالفة، لاسيّما أتباع أهل البيت عليهم السلام، كانوا يعتبرون هذا اليوم عيداً من الأعياد الإسلامية الكبرى.

وقد عدّه أبو ريحان البيروني في كتابه (الآثار الباقية) ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد^(٢٥٣).

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال: من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة؛ كتب الله له صيام ستين شهراً (أو سنة)، وهو يوم غدير خم؛ لمّا أخذ النبي ﷺ بيد علي عليه السلام فقال: «مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ وَانصُرْ مَنْ نصره»، فقال عمر بن الخطاب: بخِ بخِ لك يا ابن أبي طالب! أصبحت

(٢٥١) وللتفصيل راجع الغدير للعلامة الأميني رحمته الله ج ١.

(٢٥٢) المائة: ٣١ و٦٧.

(٢٥٣) ترجمة الآثار الباقية: ٣٩٥، الغدير: ١ : ٢٦٧.

مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة^(٢٥٤).

إنّ عهد هذا العيد الإسلامي وجذوره ترجع إلى يوم الغدير نفسه؛ لأن النبي ﷺ أمر المهاجرين والأنصار بل أمر زوجاته ونساءه في ذلك اليوم بالدخول على علي عليه السلام وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن أرقم: كان أول من صافق النبي ﷺ وعلياً عليه السلام: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ثم باقي المهاجرين والأنصار، ثم باقي الناس^(٢٥٥).
ويكفي في أهميّة هذا الحدث التاريخي أنّ هذه الواقعة التاريخية رواها مئة وعشرة من الصحابة^(٢٥٦).

حديث الغدير لا يقبل التأويل

زعم البعض أنّ النبي ﷺ لم يقصد من عمله ومما قاله في يوم الغدير أن ينصب علياً عليه السلام ولياً، بمعنى كونه قائداً للمسلمين وخليفة له من بعده، وإنما أراد أن يبيّن فضله ومنزلته، فإنّ كلمة الولي تستعمل أيضاً بمعنى الناصر والصديق والحبيب، ولا ضرورة لحملها على الأولوية بالتصرّف لتكون بمعنى القائد والحاكم والمتولي لأمر المسلمين.

ولكن ملاحظة ظروف هذا الحدث التاريخي التي صنعها الرسول ﷺ لا تدع مجالاً لهذا التأويل، وتجعله زعماً بلا دليل؛ فإنّ منع الألوّف المؤلفة عن المسير وحبسهم في رمضاء الهجير، والاهتمام بإرجاع من تقدّم منهم وإحاق من تأخّر عنهم، وأمرهم بأن يبلغ الشاهد منهم الغائب عنهم، ونعي نفسه المباركة إليهم، وأخذ الإقرار منهم بالتوحيد والرسالة والمعاد، وأنّه الأولى بهم من أنفسهم، إنّما ينسجم كلّ هذا مع قصده ﷺ لبيان أمر مهمّ جداً، فإنّ كلّ إنسان يفهم أنّه ﷺ من هذا الاستعداد والإعداد إنّما كان يقصد أمراً مهمّاً في غاية الأهمية، ويرتبط به مصير الأمة أيّما ارتباط.

(٢٥٤) راجع تاريخ بغداد ٨ : ٢٩٠ وتاريخ دمشق : ٧٥/٢ و٥٧٥.

(٢٥٥) راجع الغدير ١ : ٢٧٠، رواه عن أحمد بن محمد الطبري.

(٢٥٦) الغدير ١ : ٦١ و٣١٤.

هذا فضلاً عن تهديد الله سبحانه له بأنه إن لم يبلغ هذا الأمر المهم فكأنه لم يبلغ رسالته التي جاهد لها ليل نهار طيلة ثلاثة وعشرين عاماً..

بيان وتحليل للواقعة

الإسلام دينٌ عالمي، وشريعة خاتمة تتضمن كل ما تحتاجه البشرية في الحياة. وقد كانت قيادة الأمة الإسلامية من شؤون النبي الأكرم ﷺ ما دام حياً، ولا يمكن للشريعة الخالدة أن تهمل أمر القيادة العليا للأمة بعد النبي ﷺ، وتوكل هذا الأمر إلى الصُّدف والأهواء والرغبات أو إلى الاجتهادات الشخصية للصحابة الذين تختلف آراؤهم واجتهاداتهم واتجاهاتهم حيث ينتهي الأمر حينئذ بلا ريب إلى الاختلاف والتشتت وانهايار الدولة الإسلامية بشكل عام.

فلا يمكن للرسول الخاتم لمسيرة المرسلين جميعاً وللشريعة الإسلامية الخالدة أن يهمل هذا الأمر الخطير.

ومن هنا كان التنصيب من سيد المرسلين ﷺ على من يتحمل مسؤولية القيادة من بعده أمراً طبيعياً ولازماً ومتوقفاً للمسلمين جميعاً.

فمن هذا الذي نصّ الرسول ﷺ على أنه القائد للأمة الإسلامية من بعده؟ ومتى نصّ الرسول ﷺ على ذلك؟ وكيف تم هذا التنصيب منه؟

إن أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم يعتقدون بأن القيادة العليا للأمة الإسلامية وخلافة الرسول ﷺ منصب ربّاني ينصّ عليه الرسول ﷺ بأمر من الله تعالى ولم يتركه الله ورسوله إلى الانتخاب الشعبي والرأي العام ما دام الرسول القائد وخليفته يحكمان الشعب باسم الله تعالى وباسم دينه القويم..

وقد اختار الله ورسوله أفضل أفراد الأمة بعد الرسول ﷺ ونصّ على إمامته وقيادته للأمة من بعده، منذ بدايات الدعوة الإسلامية وظلّ يواصل طرحها ويمهّد لها ولطرحها العام خلال العهدين المكي والمدني بدءاً بيوم الإنذار والى يوم رجوعه من حجة الوداع بل وبشكل خاص في الثامن عشر من ذي الحجة السنة ١٠ للهجرة بعد إنذار إلهي صريح وفيما بعد ذلك وحتى في يوم ارتحاله ﷺ.

بينما يرى الخط الذي استلم الحكم بعد الرسول ﷺ أن الخلافة لم تكن منصباً ربّانياً ولا حاجة للتخصيص فيها، بل يمكن لأن تقرر من قبل المسلمين حتى عدد قليل منهم لتكون الخلافة لهذا الشخص أو ذاك.

إن الأوضاع السياسية داخل الدولة الإسلامية وخارجها قبيل وفاة النبي ﷺ كانت تتطلب أن يعين النبي ﷺ بأمر من الله تعالى خليفة له من بعده؛ إذ المنافقون وأهل الكتاب في داخل أراضي الدولة الإسلامية من جهة، والدولة البيزنطية وسائر القوى المشتركة خارج الدولة الإسلامية من جهة أخرى كانوا يشكّلون عدة مراكز للخطر الداهم ضد المسلمين.

إنّ هذا الوضع الاجتماعي والسياسي يفيد: أنه كان ينبغي للرسول الأعظم ﷺ أن يمنع من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق في المجتمع من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية، وذلك بإيجاد حصن قوي متين حول تلك الأمة، من خلال تعيين قائد كفوء لها ليمنعها من التشتت والفرقة واختلاف الكلمة وتنازع الأهواء.

فإنّ تحصين الأمة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، وعدم السماح لأصحاب الأهواء ليطالب كل فريق بالزعامة لنفسه، وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة والحكم وقيادة الأمة سياسياً لم يكن ليتحقق إلا بتعيين قائد كفوء للأمة من قبل مكوّن الأمة وربّانها وقائدها الأوّل، وعدم ترك الأمور للصدف والأهواء.

إن هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية «ضرورة التخصيص على القائد بعد رسول الله ﷺ وتحققها وعمل الرسول ﷺ بها.

ومن هنا نعرف السرّ في طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة في الأيام الأولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، يوم لم يكن قد انضوى تحت راية رسالته سوى عدد قليل جداً ممّن أعلن إسلامه وآمن برسالة ربّه. كما نعرف السرّ في مواصلة طرحها من قبله ﷺ والتذكير بها طوال حياته وحتى الساعات الأخيرة منها.

وقد كان أبرزها يوم الثامن عشر من ذي الحجّة السنة العاشرة للهجرة، الذي عرف فيما بعد بيوم غدِير خُم.

الاستشهاد بالواقعة:

وقد استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الواقعة العظيمة أمام الناس كافة في زمن خلافته عدة مرات - كما ذكر ذلك المؤرخون - منها ما روي عن زيد بن أرقم قال: نشد علي الناس في المسجد فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقام اثنا عشر بديراً، ستة من الجانب الأيمن، وستة من الجانب الأيسر، فشهدوا بذلك.

قال زيد بن أرقم: «وكننت أنا فيمن سمع ذلك فكنتمته، فذهب الله ببصري»، وكان يتندم على ما فاتته من الشهادة ويستغفر^(٢٥٧).

ومن ذلك أيضاً ما روي عن طلحة بن عميرة قال: نشد علي عليه السلام الناس في قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلى مولاه» فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أنس، قال: لييك، قال: «ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا»؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم إن كان كاذباً فاضربه ببياض - أو بوضح - لا تواريه العمامة» قال طلحة بن عميرة: فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه^(٢٥٨).

(٢٥٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٧٤.

(٢٥٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٧٤ - ٢١٧/١٩ ، ٣٢٠ ، وحديث من كنت مولاه ومناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يطلب من كتاب الغدير الجزء الأول.

(١٠)

شهادة ميثم التمار رضي الله عنه

(٢٢/ذى الحجة/السنة ٦٠ هـ)

وهو من خلص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان الإمام عليه السلام يخرج من جامع الكوفة ويجلس عند ميثم فيحادثه. وروي أنه كان عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه، وقال له: ما اسمك، قال: سالم، قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم، قال: صدق الله وصدق رسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنه لاسمي، قال فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله صلى الله عليه وآله ودع سالماً، فرجع إلى ميثم واكتنى بأبي سالم.

قال له علي عليه السلام ذات يوم: ألا أبشرك يا ميثم؟ قال: بماذا يا مولاي؟ قال: بأنك تموت مصلوباً، قال: يا مولاي وأنا على فطرة الإسلام؟ فقال: نعم يا ميثم، فقال له: تريد أن أريك الموضع الذي تصلب فيه والنخلة التي تعلق عليها وعلى جذعها؟ قال: نعم يا علي فجاء به إلى رحبة الصيارفة فقال له: ها هنا. ثم أراه النخلة فكان يتعاهدها ويصلي عندها حتى قطعت وشقت نصفين فنصف تنصف منها وبقي النصف الآخر، فما زال يتعاهد هذا النصف ويصلي في الموضع ويقول لبعض جوار الموضع: يا فلان إني أجاورك عن قريب فأحسن جوارِي. فيقول ذلك الرجل في نفسه يريد ميثم: يشتري داراً في جواره.

وحج في السنة التي قتل فيها فدخل على أم المؤمنين أم سلمة فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم، قالت: والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين، قالت هو في حائط له، قال: أخبريه أنني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، فدعت له بطيب فطيب لحيته، وقالت له:

أما إنها ستخضب بدم.

فقدم الكوفة فأخذه جلاوزة عبيد الله بن زياد فأدخل عليه فقيل: هذا كان من أثر الناس عند علي، قال: ويحكم، هذا الأعجمي! قيل له: نعم، قال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة. قال: إنك على عجمتك لتبلغ الذي تريد، ما أخبرك صاحبك أني فاعل بك؟ قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة، أنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، قال: لنخالفه، قال: كيف تخالفه؟ فوالله ما أخبرني إلا عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء؟! ولقد عرفت الموضع الذي أصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أول خلق الله أجم في الإسلام، فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد، فقال ميثم للمختار: إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يقتلنا.

فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله، فخلاه وأمر بميثم أن يصلب، فأخرج. فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم! فتبسم وقال وهو يوءمي إلى النخلة: لها خلقتُ ولي عُذِيَتْ. وكان مقتل ميثم رحمة الله عليه قبل قدوم الحسين ﷺ العراق بعشرة أيام، فلما كان اليوم الثالث من صلبه، طعن ميثم بالحربة فكبر ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دمًا. فمقتله إذن في نهاية شهر ذي الحجة من عام ٦٠هـ.^{٢٥٩}

^{٢٥٩} نقلًا عن موسوعة المناسبات الإسلامية والعالمية. ط.مكتب الإمام الخامنئي في سورية .

(١١)

يوم المباهلة مع نصاري نجران

(٢٤/ذى الحجة/السنة ١٠ هـ)

إن يوم ٢٤ من شهر ذي الحجة السنة العاشرة هو يوم المباهلة على الأشهر^(٢٦٠)،
والقضية كما يلي:

لما انتشر الإسلام بعد فتح مكة وقوى سلطانه، وفد إلى النبي ﷺ الوفود، فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه برأيه ﷺ فيهم، وكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى، منهم العاقب والسيد وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب، فلما صلى النبي ﷺ العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف، فقال له: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي عليه وآله السلام: «عبد الله اصطفاه وانتجبه» فقال الأسقف: أتعرف له - يا محمد - أباً ولده؟ فقال النبي ﷺ: «لم يكن عن نكاح فيكون له والد»، قال: فكيف قلت: إنه عبد مخلوق، وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد؟ فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ × الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ × فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٦١﴾ فتلاها النبي ﷺ على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة.

وقال ﷺ: «إن الله عز اسمه أخبرني أن العذاب ينزل علي المبطل عقيب

(٢٦٠) المشهور أن يوم المباهلة كان بعد فتح مكة واختلف العلماء في سنة الواقعة ويومها.

(٢٦١) آل عمران: الآيات ٥٩ - ٦١.

المباهلة، ويبين الحق من الباطل بذلك»^(٢٦٢) فاجتمع الأسقف مع عبد المسيح والعاقب على المشورة، فاتفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذاك فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلتة، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنه على غير شيء، فلما كان من الغد جاء النبي ﷺ وقد اكتسى بعباءة، وأدخل معه تحت الكساء، علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، وقال: «اللهم إنه قد كان لكل نبي من الأنبياء، أهل بيت هم أخص الخلق إليه، اللهم وهؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، فهبط جبرئيل بأية التطهير في شأنهم، ثم خرج النبي ﷺ بهم ﷺ للمباهلة، فلما بصر بهم النصارى، ورأوا منهم الصدق، وشاهدوا أمارات العذاب، لم يجروا على المباهلة، فطلبوا المصالحة، وقبلوا الجزية عليهم.

فصالحهم النبي ﷺ على ألفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة أربعون درهماً جيداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً بما صالحهم عليه.

والخلاصة: إن هذا اليوم يوم شريف، وفيه عدة أعمال: الأول الغسل، الثاني الصيام، الثالث الصلاة ركعتين كصلاة عيد الغدير، وقتاً وصفة وأجراً، ولكن فيها تقرأ آية الكرسي إلى (هم فيها خالدون)، والرابع أن يدعو بدعاء المباهلة^(٢٦٣).

(٢٦٢) الإرشاد ١ : ١٦٦ .

(٢٦٣) راجع مفاتيح الجنان : أعمال شهر ذي الحجة ، أعمال يوم المباهلة .

(١٢)

تصدق الإمام على ﷺ بالخاتم^{٢٦٤}

(٢٤/ذى الحجة/السنة ١٠ هـ)

هذا اليوم هو يوم تصدق أمير المؤمنين ﷺ بالخاتم، في حال الركوع ونزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٢٦٥).

جاء في تفسير (مجمع البيان)، وتفاسير وكتب أخرى، نقلاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في حوار جرى بينهما في المسجد الحرام أمام الناس أنه قال: أيها الناس من لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله ﷺ بأذنيّ هاتين وإلا صمّتا، ورأيت بعينيّ هاتين وإلا كفتا، أنه قال: «علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره مخذول من خذله».

وأضاف أبو ذر رضي الله عنه أنه كان في أحد الأيام يصلي مع النبي ﷺ فدخل سائل إلى المسجد وطلب إعانة من الناس، لكن لم يقدم له أحد شيئاً، فرفع هذا السائل يده إلى السماء وقال: «اللهم اشهد بأني طلبت العون في مسجد رسولك ولم يرد عليّ أحد بشيء»، وكان علي رضي الله عنه يصلي في ذلك الوقت وهو في حالة الركوع، فأشار بخنصره الأيمن، فتقرب السائل فانتزع خاتماً كان في تلك الخنصر، وقد شاهد النبي ﷺ ذلك وهو في حالة الصلاة وما أن فرغ رضي الله عنه من صلاته حتى رفع رأسه إلى السماء وناجى ربه قائلاً، بما مضمونه: «اللهم إن أخي موسى سألك أن تشرح له صدره وتيسر له أمره وتحلل عقده من لسانه ليفقه الناس قوله وسألك أن تجعل هارون أخاه وزيراً

^{٢٦٤} نقلاً عن موسوعة المناسبات الاسلامية والعالمية. ط.مكتب الإمام الخامنئي في سورية.

له ليشد أزره ويشاركه فى أمره، اللهم وإنى نبيك الذى اصطفيته، فاشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، واجعل لى من أهلى علياً عليه السلام وزيراً لتشدّ به أزرى...».

قال أبو ذر: «وما كاد النبي صلى الله عليه وآله ينهى دعاءه حتى نزل عليه جبريل وقال له: اقرأ.. فسأل النبي صلى الله عليه وآله: ماذا أقرأ؟ قال: اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾».

لقد نقل هذه الواقعة الكثير من الرواة ومصادر أهل السنة، وقد صرح البعض بقصة التصديق بالخاتم واكتفى آخرون بتأييد نزول الآية فى حق أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل هذه الروايات ثلثة من كبار الصحابة كابن عباس، وعمار بن ياسر، وعبد الله ابن سلام، وسلمة بن كهيل، وأنس بن مالك، وعتبة بن حكيم، وعبد الله بن أبيّ، وعبد الله بن غالب، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي ذر الغفاري.

ونقل صاحب (غاية المرام) ٢٤ حديثاً عن طريق أهل السنة و١٩ حديثاً عن طريق الشيعة^(٢٦٦)، والقضية بدرجة من الوضوح بحيث أن حسان بن ثابت جاء بمضمون آية الولاية فى قالب شعري من نظمه قاله فى حق أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول:

فأنت الذى أعطيت إذ كنت راعياً زكاة فدتك النفس يا خير راع
فأنزل فىك الله خير ولاية وبينها فى محكمات الشرائع

(٢٦٦) لمزيد الاطلاع راجع تفسير الأمثل : ٤ ، فى تفسير الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(١٣)

نزول سورة الإنسان في أهل البيت عليهم السلام

٢٥ / ذى الحجة

يوم شريف، وهو اليوم الذي نزلت فيه سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ في شأن أهل البيت عليهم السلام لأنهم كانوا قد صاموا ثلاثة أيام، وأعطوا فطورهم مسكيناً، ویتيماً وأسيراً، وأفطروا على الماء، وينبغي لشيعة أهل البيت عليهم السلام، في هذه الأيام، ولا سيما في الليلة الخامسة والعشرين، أن يتأسوا بمولاهم في التصديق على المساكين والأيتام، وأن يجتهدوا في إطعامهم، وأن يصوموا هذا اليوم^(٢٦٧).

وفي هذه الآيات المباركة من سورة الإنسان (الدهر) يتحدث القرآن عن أهل البيت عليهم السلام ويضعهم في قمة الإيثار والتقوى، ويعرضهم نماذج وقدوة للبشرية لتقتدي بهم الأجيال وتسير على نهجهم.. فالحادثة التاريخية التي نزلت بسببها الآيات المباركة تشير إلى مقام أهل البيت عليهم السلام، وتساميتهم في التطبيق والالتزام الشرعي والتجرد الكامل لله تعالى، وأنهم هم الأبرار المبشرون بالجنة، فمن اقتدى بهم وسار على نهجهم حشر معهم.

فقد أورد الزمخشري وغيره من المفسرين في تفسير هذه الآية، رواية الإطعام بكاملها^(٢٦٨).

(٢٦٧) مفاتيح الجنان: أعمال اليوم الخامس والعشرون.

(٢٦٨) أورد الفخر الرازي في التفسير الكبير نفس الرواية عن الكشاف، كما أوردها عن الواحدي.

(١٤)

البيعة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة

(٢٥/ذى الحجة/السنة ٣٥ هـ)

علي عليه السلام والخلافة

لما وجد أمير المؤمنين عليه السلام أن الأمة قد تقاعست عن نصرته والثبات على موقفها الذي أبدته بحضور الرسول صلّى الله عليه وآله في يوم الغدير، وجد أنه بين أمرين لا ثالث لهما، فإما أن يرفع السيف مطالباً بحقه المشروع فيصاب الإسلام الذي دافع عنه طيلة حياته مع رسول الله صلّى الله عليه وآله بكل غال ونفيس، أو يكظم غيظه ويصبر حفاظاً على كرامة الدين وقوته وهو لا يزال غضاً طرياً. قال عليه السلام: «وظفت أرتى بين أن أصول بيد جذاذ أو أصبر علي طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، فرأيت أن الصبر علي هاتا أحجي، فصبرت وفي العين قذي، وفي الحلق شجي، أري تراثى نهبا» (٢٦٩).

وقال أيضاً عليه السلام: «لأسالمنّ ما سلمت أمور المسلمين ما لم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصة».

فصبر علي عليه السلام كان على حساب حقه الخاص في الخلافة والحاكمة على الأمة الإسلامية لأجل مصلحة الإسلام العليا، قال عليه السلام: «ولئلاّ يصاب الدين بما تكون مصيبته عليّ أعظم من إمرتكم هذه».

إننا نقرأ في موقفه العظيم الشجاع هذا ما يوازي مواقفه البطولية الكبيرة في الذود عن الدين بين يدي الرسول صلّى الله عليه وآله، فليس الصبر في مثل هذه المواقف المصيرية الصعبة

(٢٦٩) نهج البلاغة: خ ٣، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنما هو حديث شجون مع ابن عباس.

بأقل مقاماً ومنزلة من مواقفه عليه السلام مع عمرو بن عبد ود المشركين ومرحب اليهود.
لقد بقيت المدينة أياماً بعد قتل عثمان والناس يلتمسون علياً عليه السلام للقيام بالأمر وهو
يأبى وظلّ يأبى حتى ازدحم الناس وألحوا عليه، وقالوا له: «لا نجد غيرك ولا نرضى
إلا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف». ثم أخذ الأشر النخعي بيده فبايعه وبايعه الناس
وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي.

وهتف الناس باسم علي عليه السلام على عادة الناس إذ يولون عليهم خبيراً بحاجاتهم
مؤمناً بحقهم خالصاً لهم، عالماً حكيماً أباً كريماً. وسرّوا بقبوله الولاية حتى لكانهم
يطلون على أمل لا ينتهي بعد أن عاشوا طويلاً في ظلمات دامسات من المهانة
والحرمان.

وقد وصف هو نفسه ببيعته بالخلافة وصفاً جميلاً قال: «وبلغ من سرور الناس
ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل،
وحسرت إليها الكعاب»^(٢٧٠).

وبدأ علي من يومه الأول يجندّ قواه للإصلاح ويقوم ما أعوج من شؤون الناس.
فإذا هو يعزل الولاة من عمال عثمان واحداً بعد واحد، وهو لا يرى فيهم من يصلح
للبقاء في عمله. وامتنع قوم عن بيعته من القرشيين وأصحاب الوجاهات والطامعين
بالحكم، فهم يحقدون عليه إما حسداً وإما انتقاماً لزعامته ونفوذ وجهه يرغبون فيها ولا
سبيل لها على يديه

أجل.. إن أمير المؤمنين عليه السلام قد واجه المشاكل التي اعترضت خلافته بمتتهى
الحكمة والسياسة الرشيدة، وإذا لم يكتب له النجاح في خلافته فمردّد ذلك إلى عدة
أسباب، أهمها أنه تولى الخلافة من المسلمين ولكنهم لم يجتمعوا على هدف واحد
وغاية واحدة، وفي هذا الجو المحموم ووسط تمرّد وتحذ وكره من أكثر القرشيين
ومن الأمويين، وفي مناخ سادت فيه المصالح على جميع القيم واستعملت فيه الأموال
لشراء الضمائر والأنصار.

(٢٧٠) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة، وهدج: مشى مشية الضعيف، والكعاب جميع كاعب وهي:
الجارية إذا بلغت ونهد صدرها. وحسرت: كشفت عن وجهها.

لذلك كله كان قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا يخفى أن مردّ ذلك كله لأن علياً عليه السلام لم يهادن أحداً على حساب الإسلام، أو يستعمل قرشاً واحداً من بيت المال في غير موضعه، فكان من الطبيعي أن تعترضه المشاكل من هنا وهناك، وهو يحاول أن يحمل الناس على كتاب الله وسنة رسوله وتأسيس خلافة جديدة لم يعهد المسلمون نظيراً لها من قبل.

إن علياً عليه السلام كان يرى ان أقل ما يُطلب من خليفة رسول الله ان يحمي شريعة الله من التلاعب والأرض من الفساد، ويحتفظ بخيرات الأرض لا لفئة من الحاكمين ولا لفريق دون فريق، وقد عمل على ترسيخ هذه المبادئ وتنفيذها بدون هوادة ولم ينحرف عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله (٢٧١).

(١٥)

واقعة الحرّة في المدينة

(٢٧٢) (٢٨/ذى الحجة/السنة ٦٣ هـ)

وهي حادثة مؤلمة مشهورة وقعت في عام ٦٣ هجرية، استباح فيها يزيد بن معاوية مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وكانت أول واقعة يتمرد فيها أهل المدينة على حكومة

(٢٧١) راجع كتاب الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية .

(٢٧٢) سجّل هذا التاريخ للواقعة كتاب (موسوعة التاريخ الاسلامي ٦ : ٢٥٣) عن الإمامة والسياسة ١ : ٢٢ وفي تاريخ ابن الوردي

يزيد بن معاوية بعد واقعة الطف، استنكاراً لمقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، ورفضاً للسيادة الأموية على مقدرات المسلمين، وانتهت الواقعة بسيطرة جيش الشام واستباحته المدينة ثلاثة أيام فكثر القتل ^(٢٧٣) والنهب والسلب والاعتداء على الأعراض، خلافاً لتحذيرات رسول الله صلى الله عليه وآله المتكررة من الاعتداء على أهل المدينة حيث قال صلى الله عليه وآله: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» ^(٢٧٤) ولما مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالحرّة وقف فاسترجع، وقال: «يقتل في هذه الحرّة خيار أمتي» ^(٢٧٥).

العوامل والأسباب للواقعة

كان معاوية يستخدم الشدّة مع اللين في سياسته مع أهل المدينة، كما وكان مدارياً للأنصار بأساليب عديدة من إغراء وخذاع وترغيب وإذا لم تنفع هذه فيأتي دور التهيب، فأبقى أحقادهم وكرهيتهم لحكمه في نطاق المعارضة السلمية، واما في عهد يزيد، فتحوّلت المعارضة السلمية الى معارضة مسلحة أفرزتها الممارسات السلبيّة التي ارتكبتها يزيد في سنوات حكمه القليلة .

منها: نشر الفسق والفجور والفساد حيث اشتهر يزيد بولعه بالمعازف وشرب الخمر والغناء واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والنطاح بين الكباش والدباب والقروود، وما من يوم إلا ويصبح فيه مخموراً، وكان يشدّ القرد على مسرجة ويسوق به ويلبسه قلانس الذهب ^(٢٧٦).

ومنها: مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وخيرة الصحابة والتابعين :و كان ذلك ذا أثر كبير على نفوس أهل المدينة؛ لأن الإمام الحسين عليه السلام يمثل القيادة الحقيقية

(٢٧٣) وقد دفن هؤلاء الشهداء في مقبرة البقيع بجوار شهداء أحد في المدينة المنورة.

(٢٧٤) تاريخ الإسلام ٢٦.

(٢٧٥) الإمامة والسياسة : ١ : ٢١٩.

(٢٧٦) البداية والنهاية ٨ : ٢٣٥.

فأثبت يزيد أن دوافع قتل الحسين دوافع جاهلية تعود إلى طلب ثأر المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وتأسف يزيد على قتلى المشركين في معركة بدر وتمنى حضورهم لمشاهدة أخذ الثأر فأنشد شعراً له أو لغيره متمثلاً به:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا لي هنيئاً لا تُشَل (٢٨٠)

وقد أضاف ابن العماد الحنبلي بيتاً آخر ليزيد:

لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحي نزل (٢٨١)

سير أحداث واقعة الحرة

ولّى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة وهو فتى حدث، لم يمر بتجربة في التعامل مع الأفراد أو التعامل مع الأحداث، فأرسل وفداً من أهل المدينة إلى يزيد ومنهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي فأكرمهم يزيد بالعطايا، ولكن ذلك لم يمنعهم من إظهار مساوئه المخالفة للمنهج الإسلامي التي اطلعوا عليها مباشرة، فلما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد

(٢٨٠) البداية والنهاية ٨ : ١٩٢ .

(٢٨١) شذرات الذهب ١ : ٦٩ .

وعيبه وقالوا: «..قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب». وقال ابن حنظلة موضعاً دوافع الثورة: «.. فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة»^(٢٨٢).

واتفقوا هؤلاء على خلع يزيد، ومنعوا من وصول الحنطة والتمر إلى الشام، فلما سمع يزيد بالخبر بعث الجيوش إليهم، فأعلنوا العصيان المسلح وتهيأوا للمقاومة وحصروا بني أمية ومواليهم وكانوا ألفاً ثم أخرجوهم بعدما أخذوا منهم الموائيق أن لا يظاهروا عدوهم عليهم.

أوصى يزيد قائد الجيش مسلم بن عقبة: «أدع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم فإذا ظهرت عليهم فانهبها ثلاثاً».

وقام أهل المدينة بحفر خندق حولها، وحين وصول جيش الشام؛ خان مروان وأبناءؤه الميثاق، وظاهروا الجيش على قتال أهل المدينة، وأقنعوا بني حارثة بإدخال جيش الشام من جهتهم، فدخل إلى جوف المدينة، فكان الهجوم على أهلها من الأمام ومن الخلف ثم من الجهات الأربع، فحوصرت المدينة، لكن أهلها استبسلوا بالقتال واستطاع عبد الله بن حنظلة أن يهزم كل من توجه إلى قتاله إلى أن قُتل أخوه وأبناءؤه العشرة، وبعد مقتلهم انهزم أهل المدينة، واستطاع الجيش الأموي إخماد حركتهم وأباح قائدهم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، ودعى ابن عقبة أهل المدينة إلى البيعة على أنهم عبيد ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم فمن أبى البيعة بهذه الصورة قُتل، واستثنى من ذلك الإمام علي بن الحسين عليه السلام واستطاع عليه السلام أن يشفع لبقية أهل المدينة، وأنقذهم من القتل^(٢٨٣).

نتائج الحقد الأموي علي المدينة وأهلها:

أولاً: عدد القتلى: استمرّ الجيش الشامي بباداة أهل المدينة وإكثار القتل فيهم ثلاثة

(٢٨٢) تاريخ الخلفاء: ١٦٧ ، تاريخ الإسلام: ٢٧ .

(٢٨٣) الإمامة والسياسة ١ : ٢١٥ ، الكامل في التاريخ.

أيام، حتى بلغ العدد الذي أحصي يومئذٍ «من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفاً وسبعمائة، ومن سائر الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان». «وقتل من أصحاب النبي ﷺ ثمانون رجلاً، ولم يبق بدري بعد ذلك وفي رواية ابن أعثم (٦٥٠٠) ورواية المسعودي (٤٢٠٠)»^(٢٨٤).

ومن الوجوه البارزة التي قتلت في الواقعة: عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وأبناؤه العشرة وأخوه وغيرهم من أبناء الصحابة وبقية الصحابة من حملة القرآن ومن المشاركين في بدر، حتى كانت الحرّة نهايةً للبدرين جميعاً وقتل فيها (سبعمائة من حملة القرآن)^(٢٨٥).

ثانياً: الاعتداء على النساء والأطفال: لم يرع الجيش الشامي أية حرمة للنساء والأطفال، فاستقبلوا أوامر الإباحة باندفاع منقطع النظير، وحولوها إلى واقع ملموس، فبعد هزيمة أهالي المدينة (افتض فيها ألف عذراء) وأنه «حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج»^(٢٨٦).

ودخلت الجيوش الشامية أحد البيوت فلم يجدوا فيها إلا امرأة وطفلاً ليس لديها مال أخذوا طفلها وضربوا رأسه بالحائط فقتلوه وقام أحد جنود الشام بتكرار العملية حينما ضرب ابناً لابن أبي كبشة الأنصاري بالحائط فانتثر دماغه في الأرض^(٢٨٧).

ثالثاً: النهب والسلب: استمر جيش الشام بالنهب والسلب ثلاثة أيام فما تركوا مالا أو ممتلكات عينية إلا أخذوها.

رابعاً: انتهاك المقدسات: لم يرع جيش الشام أي حرمة للمقدسات الإسلامية، فكان الجيش يخاطب بقايا المهاجرين والأنصار (يا يهود)^(٢٨٨). وسمّى ابن عقبة المدينة «نتنة وقد سماها رسول الله ﷺ طيبة»^(٢٨٩).

(٢٨٤) الفتوح ٥ : ١٨١. مروج الذهب ٣ : ٧٠.

(٢٨٥) تاريخ الإسلام، للذهبي : ٣٠.

(٢٨٦) تاريخ الخلفاء : ١٦٧ ، البداية والنهاية ٨ : ٢٢١.

(٢٨٧) الإمامة والسياسة ١ : ٢١٥ ، المحاسن والمساوي ١ : ١٠٤.

(٢٨٨) أنساب الأشراف : ٣٢٧.

(٢٨٩) مروج الذهب ٣ : ٦٩.

وحيثما وصلت الأخبار الى يزيد وفي رواية حينما ألقيت الرؤوس بين يديه جعل
يتمثل بقول ابن الزبيري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل^(٢٩٠)

ج

وسبق ليزيد أن تمثل بهذه الأبيات حينما وصل إليه رأس الإمام الحسين عليه السلام.
وهكذا كانت الواقعة تعبيراً عن الحقد الذي يكنّه الأمويون للأنصار منذ واقعة بدر،
والذي ظهر في توجيهات يزيد لابن عقبة قبل الواقعة: «فإذا قدمت المدينة فمن عاقك
على دخولها أو نصب لك الحرب، فالسيف السيف، أجهز على جريحهم وأقبل على
مدبرهم وإياك أن تبقي عليهم»^(٢٩١).

(٢٩٠) أنساب الأشراف: ٣٣٣، العقد الفريد ٥ : ١٣٩.

(٢٩١) الإمامة والسياسة ١ : ٢٠٩.

(١٦)

يوم الختام للسنة الهجرية القمرية

اليوم الأخير من ذى الحجة

اليوم الأخير من ذى الحجة هو الختام للسنة الهجرية القمرية، وقد ذكر المحدث القمي في مفاتيح الجنان عن السيد في الإقبال، أنه يصلى فيه ركعتان، بفاتحة الكتاب وعشر مرات سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وعشر مرات آية الكرسي ثم يدعى بعد الصلاة بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ مَا عَمِلْتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ عَمَلٍ نَهَيْتَنِي عَنْهُ وَلَمْ تَرْضَهُ وَنَسِيتُهُ وَلَمْ تَنْسَهُ وَدَعَوْتَنِي إِلَى التَّوْبَةِ بَعْدَ اجْتِرَائِي عَلَيْكَ اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْهُ فَأَغْفِرْ لِي وَمَا عَمِلْتُ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ فَأَقْبَلْهُ مِنِّي وَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي مِنْكَ يَا كَرِيمٌ». فإذا قلت هذا: قال الشيطان: يا ويلي ما تعبت فيه هذه السنة هدمه أجمع بهذه الكلمات، وشهدت له السنة الماضية أنه قد ختمها بخير^(٢٩٢).

(٢٩٢) راجع مفاتيح الجنان: أعمال أواخر ذى الحجة، .

جدول مناسبات شهر ذي الحجة

ت	اليوم	المناسبة	السنة
١	١ / ذو الحجة	زواج الإمام علي <small>عليه السلام</small> من الزهراء <small>عليها السلام</small>	٢ هـ
٢	= = / ٣	تبليغ سورة براءة في الحج	٩ هـ
٣		وصول النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> إلى مكة لحجة الوداع	١٠ هـ
٤	= = / ٧	شهادة الإمام محمد الباقر <small>عليه السلام</small>	٩٥ هـ
٥	= = / ٨	يوم التروية وخروج الحسين <small>عليه السلام</small> من مكة	٦٠ هـ
٦	= = / ٩	يوم عرفة	من كل عام
٧		شهادة مسلم بن عقيل وهاني	٥٩ هـ
٨	= = / ١٠	عيد الأضحى المبارك (يوم النحر)	من كل عام
٩	= = / ١٨	يوم الغدير (علي <small>عليه السلام</small> وصى النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>)	١٠ هـ
١٠	= = / ٢٢	شهادة ميثم التمار <small>رضي الله عنه</small>	٦٠ هـ
١١	= = / ٢٤	يوم المباهلة مع نصاري نجران	١٠ هـ
١٢	= = / ٢٤	يوم تصدق الإمام علي <small>عليه السلام</small> بالخاتم	١٠ هـ
١٣	= = / ٢٥	نزول سورة الإنسان في أهل البيت <small>عليهم السلام</small>	
١٤	= = / ٢٥	البيعة لعلي <small>عليه السلام</small> بالخلافة	٣٥ هـ
١٥	= = ٢٨	واقعة الحرة في المدينة	٦٣ هـ

السنة	المناسبة	اليوم	ت
من كل عام	يوم الختام للسنة الهجرية	اخر ذى الحجة	١٦

اهم مصادر الكتاب

القران الكريم

نهج البلاغة

الإرشاد / للشيخ المفيد.

الغدیر / للعلامة الاميني .

مسند أحمد / لابن حنبل .

تاريخ الإسلام / للذهبي .

أنساب الاشراف / للبلاذري .

السيرة النبوية / لابن هشام .

البداية والنهاية / لابن كثير .

مروج الذهب / للمسعودي .

الكامل في التاريخ / لابن اثير .

بلاغات النساء / لابن طيفور .

- . المحاسن والمساوى / للبيهقي .
- . الإمامة والسياسة / لابن قتيبة .
- . الكشاف / لجار الله الزمخشري .
- . وسائل الشيعة / للحر العاملي .
- . وفيات الأعيان / لإبن خلكان .
- . بحار الأنوار / للعلامة المجلسي .
- . اصول الكافي / للكليني الرازي .
- . فروع الكافي / للكليني الرازي .
- . روضة الكافي / للكليني الرازي .
- . تذكرة الخواص / للسبط الجوزي .
- . المغازي / لمحمد بن عمر الواقدي .
- . الاصابة / لابن حجر العسقلاني .
- . سيرة الحلبيّة / للحلبي الشافعي .
- . ذخائر العقبي / للمحب الدين الطبري .
- . تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي .
- . تحف العقول / لإبن شعبة الحراني .
- . الاحتجاج / لأبي منصور الطبرسي .
- . الفصول المهمة / لإبن صبّاغ المالكي .
- . المناقب / لضياء الدين الخوارزمي .
- . لسان العرب / لإبن منظور الافريقي .
- . فتح الباري / لابن حجر العسقلاني .
- . تاريخ الطبري / لابن جرير الطبري .
- . مفاتيح الجنان / للشيخ عباس القمي .
- . المجالس السنية / للسيد محسن الامين .
- . التفسير الكبير / لفخر الدين الرازي .
- . تاريخ الخميس / لحسين الدياربكري .

- صحيح البخاري / لمحمد بن اسماعيل .
- تفسير نورالثقلين / للعروسي الحويزي .
- تاريخ قم / للحسين بن محمد القمي .
- شذرات الذهب / لابن العماد الحنبلي .
- تذكرة الخواص / لسبط ابن الجوزي .
- تفسير القمي / لعلي ابن ابراهيم القمي .
- روضة الواعظين / للفتال النيسابوري .
- كشف الغمة / لعلي بن عيس الاربلي .
- العقد الفريد / لابن عبد ربه الاندلسي .
- تاريخ دمشق / لابن عساكرالدمشقي .
- تاريخ الخلفاء / لجلال الدين السيوطي .
- تهذيب التهذيب / لابن حجرالعسقلاني .
- الصواعق المحرقة / لابن حجرالعسقلاني .
- مجمع الزوائد / لعلي ابن ابي بكرالهيثمي .
- اللهوف / لعلي بن موسى بن طاووس .
- مقاتل الطالبين / لابي الفرج الاصفهاني .
- إعلام الوری / لفضل بن الحسن الطبرسي .
- كمال الدين / لمحمد بن بابويه (الصدوق) .
- ثواب الأعمال / لمحمد بن بابويه (الصدوق) .
- شرح نهج البلاغة / لابن ابي الحديدالمعتزلي .
- الميزان في تفسير القرآن / للعلامة الطباطبائي .
- الأمثل في تفسير القرآن / للمكارم الشيرازي .
- جامع احاديث الشيعة / للسيدالبروجردي .
- روح المعاني / لمحمود بن عبدالله الألويسي .
- امالي الطوسي / لمحمد بن حسن الطوسي .
- الخرائج ولجرائح / لقطب الدين الراوندي .

صحيح مسلم /المسلم بن الحجاج النيسابوري .
الإمام الصادق والمذاهب الأربعة /لأسد حيدر .
التنبيه والإشراف /علي بن الحسين المسعودي .
إقبال الاعمال / علي بن موسى بن طاووس .
مستدرك الوسائل / للعلامة النوري الطبرسي .
الطبقات الكبرى / لمحمد بن سعد الزهري .
موسوعة التاريخ الإسلامي / لليوسفي الغروي .
عيون أخبار الرضا عليه السلام / لمحمد بن بابويه (الصدوق) .
الإصابة في معرفة الصحابة / لابن حجرالعسقلاني .
دور اهل البيت (ع) في .. / للشهيد السيد باقر الحكيم
الإمام علي (ع) ، ادوار ومواقف / للمؤلف .
المناسبات النبوية ، ادوار ومواقف / للمؤلف .
موسوعة المناسبات الاسلامية والعالمية / للمؤلف .
ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجة / للمؤلف .
لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام واخته فاطمة المعصومة / للمؤلف .